١١٧

احياء علوم الدين

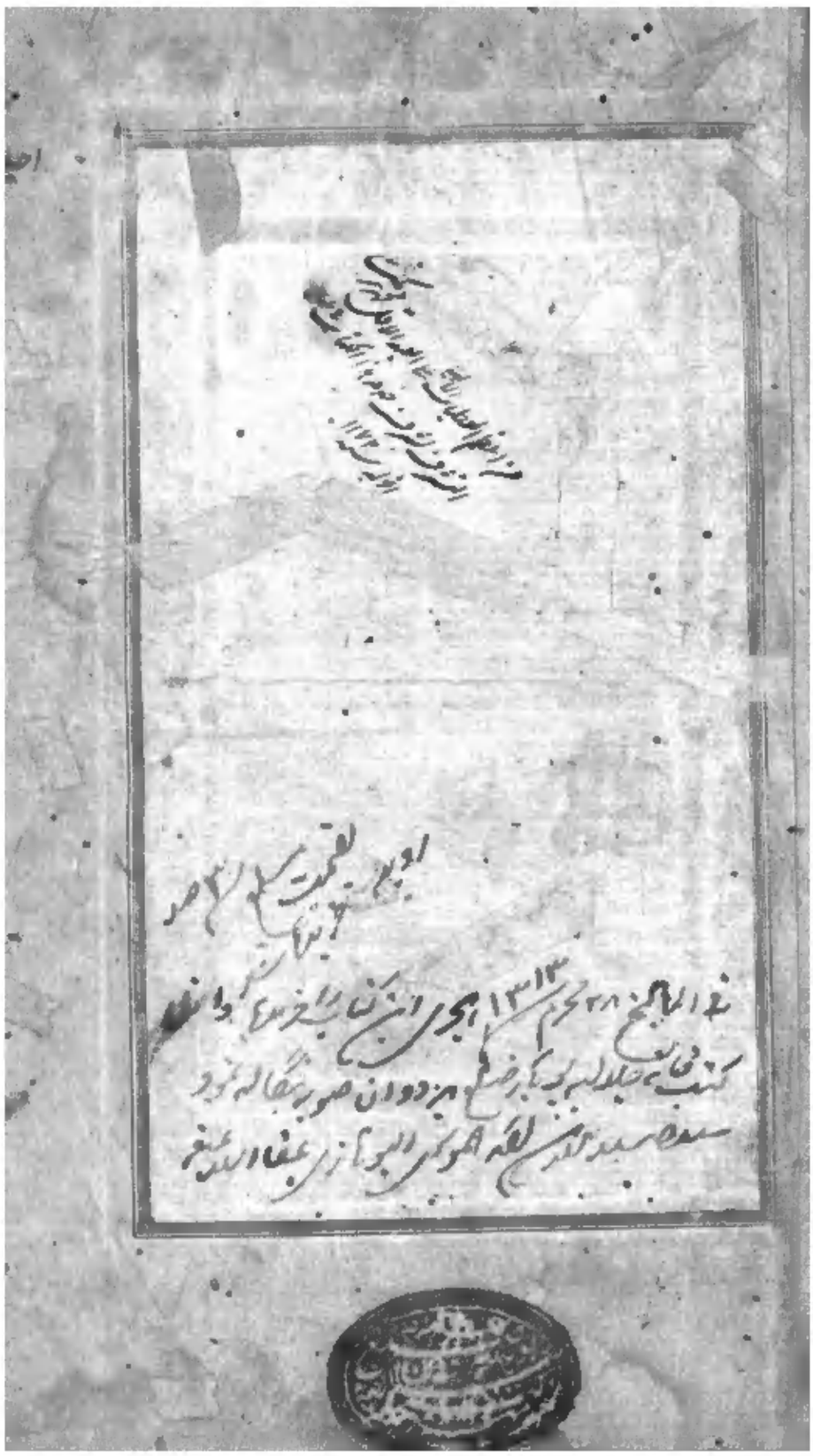

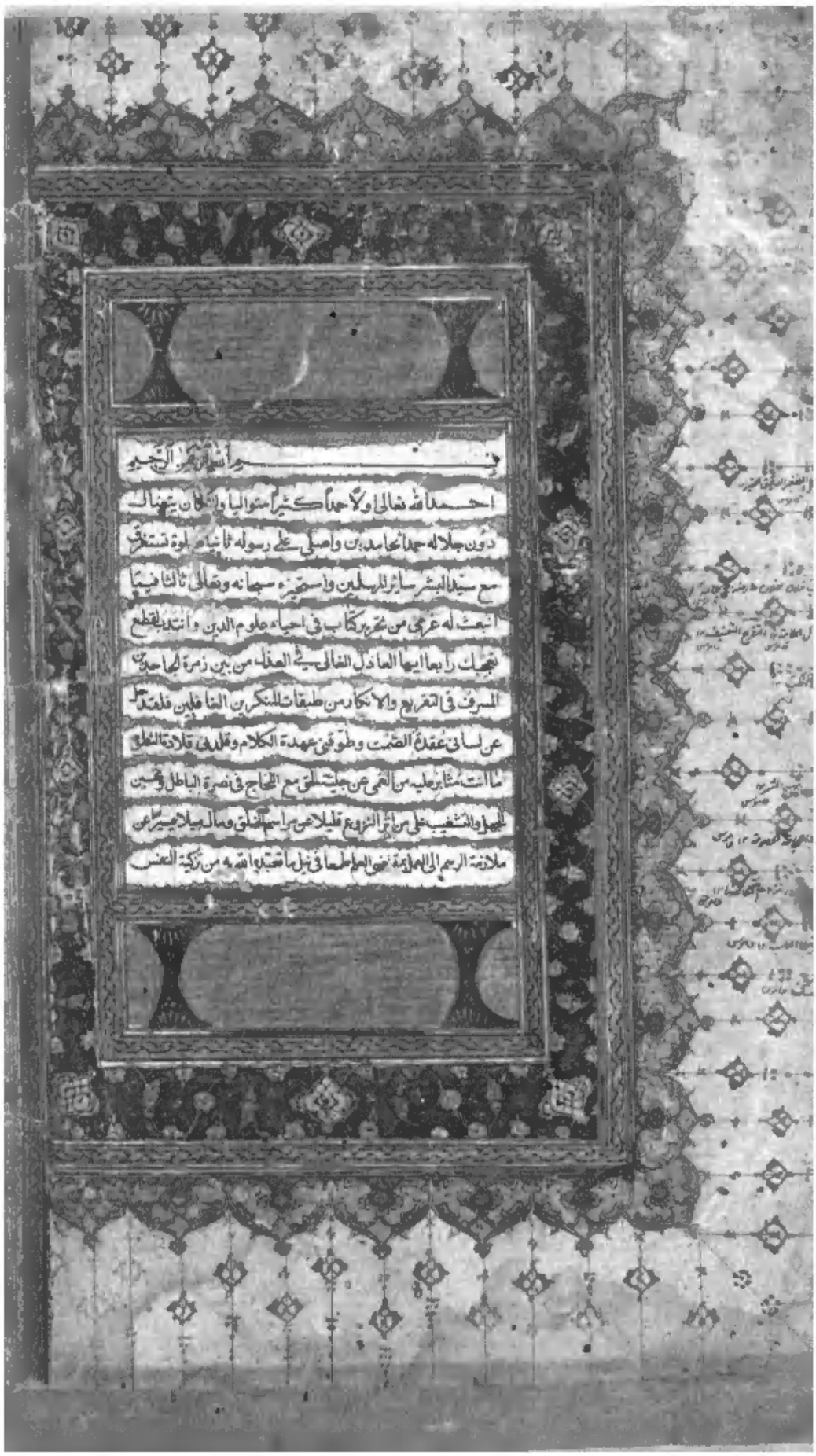

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى اولا حمدا كثيرا متواليا والشكر له تعالى

دون جلاله حمدا نحامد بن واصلى على رسوله ثانيا ملوة تستغرق

مع سيد البشر سائر المرسلين واستغفره سبحانه وتعالى ثالثا فيما

اتبعت له عزمى من تحرير كتاب فى احياء علوم الدين وانتدب لقطع

تعريك رابعا ايها العاذل الغافل عن الحق من بين زمرة الجاحدين

المسرف فى التقريع والانكار من طبقات المنكرين الغافلين فلعد عن

عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عهدة الكلام وقلدنى قلادة الغلق

ما انت مشاهد عليه من العمى عن جليات الحق مع الحاح فى نصرة الباطل وتحين

للجهل والتشغيب على من اراد التزويع قليلا عن رسم الخلق ومالى بيلا بير عن

ملازمة الرسم الى العلامة نعم العلم طعما فى نيل ما تعبدنا الله به من تزكية النفس

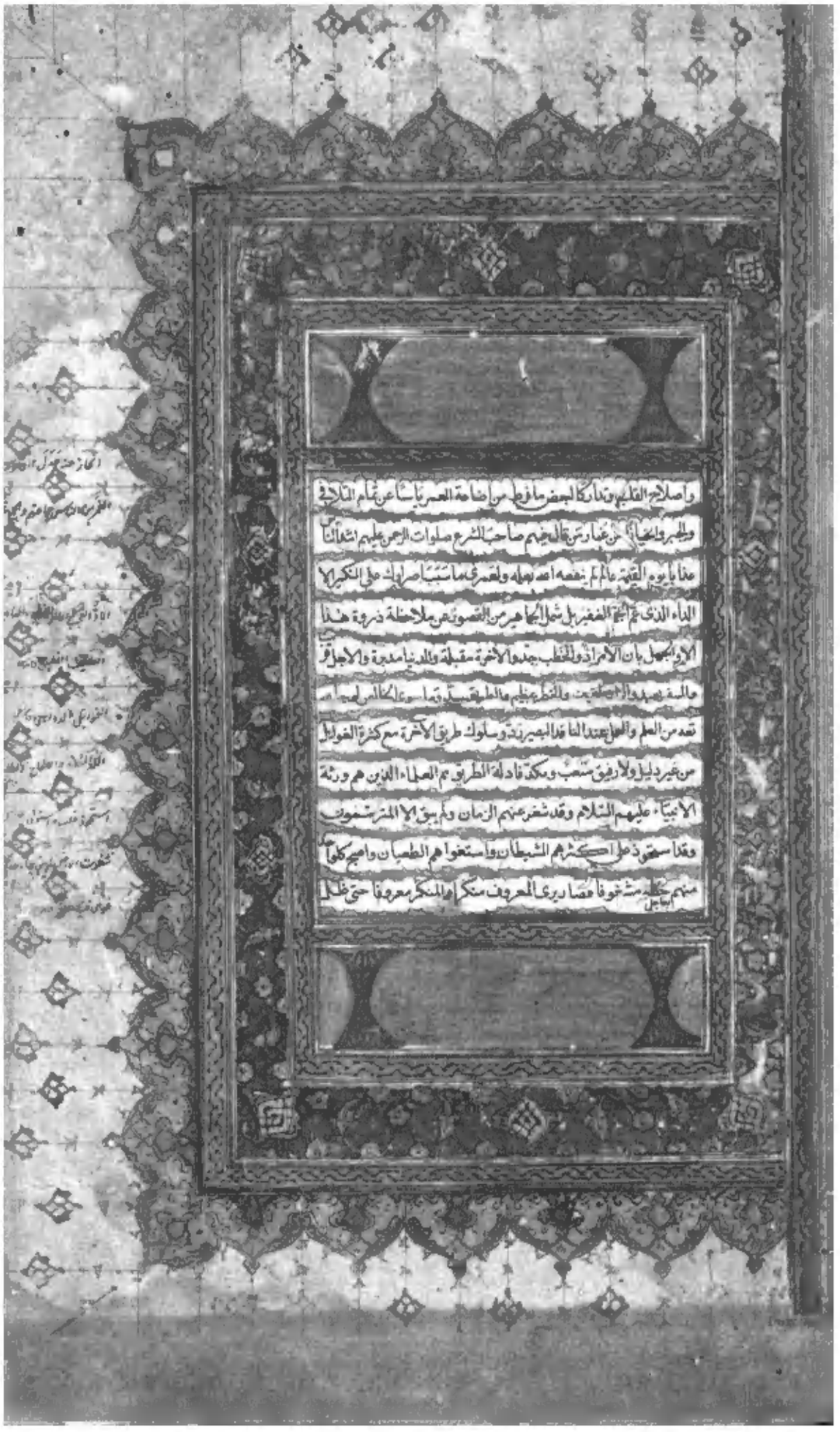

على الدين مندرسا ومنازل الهدى في اقطار الارض منطمسا وقد خيلوا الى الخلق ان الاعلم الا فتوى محكمة
يستجين بها القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام او جدلا يتذرع به طالب المباهاة الى الغلبة
والافحام او وجها يتوصل به الواعظ الى استدراج العوام اذلم يروا ما سوى هذه الثلثة سبيلا للحرام
وشبكة لنظام فاما على طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح رضي الله عنهم فكالكبريت احمر وعلما
وضياء ونورا وهداية وديدنا فقد صح من بين الخلق مطرحا وصار رسما منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين عظيما
وخطبا مدلهما رايت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب متمما لاحياء علم الدين وكاشفا عن مناهج الائمة المتقدمين وما
لهج العلوم الناضبة عند النبيين والسلف الصالحين عليهم السلام الله عليهم اجمعين وقد اقسمته على اربعة ارباع ربع
العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت جملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لا كشف فيما لا
عن العلم الذي تعبد الله عز وجل الاحياء بطلبه على لسان رسوله صلعم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وامر فيه
العلم النافع عن الضار اذ قال صلعم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحق من سئل اهل العلم عن شاكلة الصواب واولى
بلامع السراب واقناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب فاما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب العلم كتاب
قواعد العقايد كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلوة كتاب الزكوة واسرارها كتاب اسرار الصوم ومهماته
كتاب اسرار الحج ومهماته كتاب تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات كتاب ترتيب الاوراد وفضيلة
احياء الليل وفي الاوقات واما ربع العادات فيشتمل على عشر كتب كتاب آداب الاكل كتاب
آداب النكاح كتاب آداب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق
كتاب العزلة كتاب آداب السفر كتاب السماع والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب آداب
اخلاق النبوة وآداب المعيشة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجايب القلب
كتاب رياضة النفس كتاب كسر شهوة البطن وشهوة الفرج كتاب آفات اللسان كتاب
آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل كتاب ذم الجاه والرياء كتاب ذم الكبر
والعجب كتاب ذم الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر
كتاب الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والانس والشوق والرضا
كتاب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت وما بعده
فاما ربع العبادات فاذكر فيه من فضايا آدابها ودقايق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم
العامل اليه بل لا يكون من عمل الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في الفقهيات واما ربع
العادات فاذكر فيها اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقايق سننها وخفايا الورع في مجاريها

الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان العبيا التركي والجلالي العرب يصادفون طباعهم تحيل
التوقير لاستاذهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من البحث بل البهيمة مطبعها على الانسان لشعورها بتميز
الانسان بكمال الجاه ولدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم يختلف العلوم كما يأتي بيانه في الفصل الذي بعد هذا
فضائلها بتفاوتها اما فضيلة التعلم والتعليم فظاهر مما ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان السعي
طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه ان مقاصد الخلق ترجع في الدين والدنيا والانتظام
للدين الانتظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة اليها لمن اتخذها آلة وتزودا ليوم معادها
وطنا ومستقرا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم يختص بكل انسان
احدها بحسب الاقوام للعالم دون بعض كالزراعة في الطعام والحياكة في الملبس والبناء وغير ذلك
والسياسة وهي شيئا تسهل الاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها القسم الثالث مما هي منها
لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد الآلات
والحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها القسم الثالث مما هي متممة للاصلي ومزينة كالطحن والخبز
للزراعة والقصارة والخياطة للحياكة وكذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الادنى مثل اجزاء الشخص الانساني
اليه فانها آلته اقرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب
والاوردة واما مكملة لها وزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف
اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها
ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لاجلها تصاليب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة
في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المفضي بهم الدنيا والآخرة على اربع مراتب الاولى وهي العليا
سياسة الانبياء وحكم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم
على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالثة العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء
وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يتسع فهم العامة الى الاستعداد منهم ولا يتفرغون لتفهم الى الشرف في
ظواهرهم بالالتزام والتمتع والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات الاربع
بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق
المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم واما قولنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف
الصناعة يشرف امورها الا تنتهي الى الغرض بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية
اذ تلك محكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما النظر الى عموم النفع كفضل الزراعة

على الصياغة وأما بالنظر لمحل الذي يصير المتصرف لفضل نصيبه فهو على الدباغ اذ محل احسن الذهب
ومحل الآخر جلد الميتة والبون بينهما ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة وانما تدرك بكمال العقل
وعطاء الله تعالى وما لعقل اشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به قبل امانة الله تعالى وبه يصل
الى جوار الله تعالى والعلوم لا تنفع فلا تيسر بدونه فبان نفعه وعز سعادة الآخرة وما شرف المحل كيف
يخفى والعلم متصرف في علوم البشر ومنورهم واشرف موضوع على الارض مجلس الانس واشرف عضو
من جوهر الانسان قلبه والعلم مستعمل بكيمله وتطهيره وبه تقربه الى الرب من الله تعالى فعليم
العلم من جملة عبادة الله ومن وجه خلافة الله تعالى وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم
العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لاعز خزائنه ثم هو مأذون في الانفاق على كل محتاج اليه فان نفع
رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله تعالى وهديهم الى قربه فهم في الجنة اما

الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موضع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد
هو وبيان تفضيل علم الآخرة بيان العلم الذي هو فرض عين قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب
العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض
على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا يطول بسقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل
الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به عرفنا التوحيد وعلم ذات الله
وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات
وما يحل وسواء ما تحتاج اليه الآحاد دون الوقايع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب
والسنة اذ بهما تتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد بهذا العلم الذي علمنا فقال بعضهم هو علم العبد
بحاله وبما من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وبسيسة المهلكة من لمة الشيطان
وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك كتب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال
ابو طالب المكي هو العلم بما يتغذى به الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله عليه السلام بني الاسلام
على خمس لان الواجب هذه الخمس فوجب العلم بكيفية الوفاء بها وكيفية الوجوب والذي ينبغي ان نعتمده
الفصل ولا نشتغل فيه بما يذكر وهو ان العلم كما قدمنا في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وهو
وليس المراد بهذا العلم الاعلم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ به على ثلاثة
وصل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن فخرج نهار مثلا فاسلم واجب عليه فور

وفهم معناها وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله ويعين به عليه ان يعمل كتمه ذلك نفسه بالنظر
والفكر وما شاكل الادلة التي يمكنه ان يصدق به ويعتقده وهو من غير اضطراب ريب واستدلت فحسن وذلك
قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعراب العرب
بالتصديق والاقرار من غير تعليم دليل فاذا اتى بذلك فقد ادى واجبا لوقت وكان فرضه الذي هو فرض
عليه في الوقت فعلم الكلمة وفهمها وليس يلزمه ما مر ورا هذا في الوقت بدليل انه لو مات حينئذ
مات مطيعا له غير عاص وما يجب غيره ذلك عارض العرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص ولا يتصور
الانفكاك عنه وذلك العوارض اما ان تكون في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فان
يعيش من حين النهار الى وقت الظهر فيجب عليه بدخول وقت الظهر علم الطهارة والصلاة ولو كان
حيا اركان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام العلم والعمل في الوقت بل خرج الوقت لو اشتغل
بالتعلم لا يجب ذلك بل يتوانى الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم انما
هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان وجد
بسببه وجوب علم الصوم وجواز يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك
عن الاكل والشرب والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال اكان له مال عند بلوغه
لزمه علم ما يجب عليه من الزكوة وان كان لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت اسلامه فان لم
يملك الا الابل لم يلزمه علم زكوة الغنم وكذلك في سائر الاصناف فاذا دخل شهر الحج فلا يلزمه المبادرة
الى علم الحج مع ان تحصيله على التراخي فلا يكون وجوب علمه على الفور وكان ينبغي ان يقال الاسلام ان ينبني على
ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو بالكا حتى يبادر الجزم لنفسه بالمبادرة
عند ذلك اذا عزم عليه لزمه علم كيفية الحج ولم يلزمه الا علم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك
فعل فضلا ايضا نفل ولا يكون تاركا بحيث وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب علم الحج في الحال نظر يعرف
بالفقه وهكذا التدريج في علم سائر الاعمال التي هي فرض عين واما الترك فيجب علم ذلك بحسب ما يتصور
من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الاكمه علم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى علم ما يحرم من
النظر ولا على البدوي علم ما على الجلوس عليه من الحشائش فذلك ايضا واجب بحسب ما يتصور الحال
فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب قطعا وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما كان عند الاسلام لا يبادر ايجابا
في الحال بل يتأخر الى وقت الحرام فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له وكان يصدر الفرض له على القرب كالاكل يجب
تعليمه ما اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما يجب تعليمه

من جملة الحاج والمتكلم ان يجرد للناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتهذيب القلب واصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشارك بها سائر العوام فيها ويتميز عن جملة اهل الظاهر الغافل والفساق وانما يتميز عن الفاجر بصنعة الجدل والمراءة فاما معرفة الله بصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل ربما يكون الكلام حجابا وما فاعله وانما الوصول اليه بالمعاملة التي جعلها الله بحسب سنته الجارية حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قلت فلم ذممت علم الكلام في جملة علوم العوام من تصنيفي المبتدعة كما ان علم البدعة حراسة امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت علم الفقه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض العوام عن بعض وهما ان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الاخرة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق هذا فكيف تزري وبضاعتهم الى هذه المرتبة الساقطة بالاضافة الى علم الدين واعلم ان من عرف الحق بالرجال عارض سفاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد وانتظار الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا يضل عن القناعة وعلى تصميم فقد ابطل الدين عرضت بذكرهم على تقديم وانهم لا يدركون بنيان الدين شامخ ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الاخرة وسلوك طريقها وما افضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا كثرة صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ومع عدمك ما نطالبك كثيرا عليه وعلى تحصيله لاسباب وردت في تطويل متنصلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاف من الصحابة كلهم علماء بالله اتى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولم يصب منه المفتي منهم احدا لا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي قد تقلد امور الناس ووضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فقيل له فقول ذلك وفينا حملة القرآن فقال انما اريد علم الفتوى والاحكام انما اريد العلم بالله فاقرؤا ان شئتم صنعة الكلام والجدل كما كان لا يحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات عمر وهو فيهم الذي سماه باب الكلام والجدل فيه مضيعا بالدرة لما اورد عليه سؤالا يتعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجر وامثال هذا كثير وانما كان المشهورون من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شيئان وما ينال به الشهرة عند الناس شيئان فلقد كانت شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر

معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو
في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليتعلم منه في موضع حيرة اذا سأل الظالم
من يحلف له عجز تنبيهه عليه بل يجب الكذب فيه وذكر بعضهم اوشك او لم افد تعلم بالشيء على ما هو عليه
وليكنه مذموم لادائه الى الضرر الشائع ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه
غير مذموم لذاته اذ هو حساب وقد نطق القرآن بان سير الكواكب بحساب اذ قال تعالى
والشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والباقي الاحكام بالعلل
يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو رضا في استدلال الطبيب بالنض على ما يحدث
من المرض وهو معرفة بجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال عليه السلم
اخاف على امتي بعدي ثلاثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر تعلموا من النجوم
ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها انه مضر اكثر الخلق فانه
اذا القي اليهم ان حدث الآن اثر حدث عجيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها
الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية معظم وقعها في القلوب فينسى القلب سلطنة الله تعالى
بالكلية والشر محذور من جهتها ومن جواسها وهي تحكم الله تعالى عن القلب فان الضعيف يتضرع
على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر سبحانه وتعالى
ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال الجاهل الذي خلق له عقل وكان على
سطح وطاس وهو ينظر الى سواد الخط حدوث متعقدا انه فعل القلم ولا يترقى نظره الى من شاهد
الاصبع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى
خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة الغافلة منقطع عن
الترقية الى مسبب الاسباب هذا آخر اسباب النهي عن النجوم وبيانها ان احكام النجوم تخمين محض
ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون فيه على هذا من حيث
انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلم فيما يحكى وقد لا ندري ذلك العلم
والخط وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يصل الى
جميعها الا بعد شرط كثير ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله به تلك الاسباب
وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء يمطر اليوم بمعارضة الغيم

يصنع وجمعت من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يجيء النهار بالشمس ويتبدد الغيم وربما يكون
بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر وبقية الاسباب لا يدري بها وكذلك يخبر الملاح ان السفينة
يسلم اصحابها على ما الفه من العادة في الرياح وتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة
يصيب في ظنه وتارة يخطئ وهذه العلة يقع القوي عن الجزم ايضا وقالت انها لا فائدة فيه
قائل الحوالة ان خوضك في فضول لا يعنيك وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة للانسان بغير فائدة
غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا قالوا رجل
علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة
او سنة قائمة او فريضة عادلة فاذن الخوض في الجزم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير
فائدة فان ما يدرك بالاحتراز غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة اليه ماسة واكثر اولئك مما يطلع عليه
وبخلاف التعبير وان كان ظنيا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه التسبب
الخوض في علم لا يستقل الحائض فيه بفائدة مذموم في حقه كعلم دقيق العلوم مثل علم الحساب وكعلم
الآلهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على اسرار
الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي ذلك متسع لكل
وكم من خائض في العلوم واستضر بذلك لم يخف في ذلك لمكان حاله لحسن نيته في الدين ما صار اليه
ولا ينكر كون بعض العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير ما نواع الحلاوي اللطيفة بالطفل الرضيع بل ربما
خص بعض العلم ببعض الاشخاص لعدم استعداده حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب حقن زوجته وانها
لا تلد فنظر الطبيب بنفسها وقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين يوما وقد
دل النبض عليه فاستشعرت المرأة خوفا عظيما وشغف عليها عيشها واخرجت اموالها وقسمتها
واوصت وبيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فيها وذهبت الى الطبيب وقالت لم تمت فقال
الطبيب علمت ذلك فيما مضى الآن فانها الحد فقال كيف ذلك قال لانها سمينة وقد انقطع الشحم على فم
رحمها وعلمت انها لا تزال لا تخرج الموت فوقها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا سبيلك
على استشعار خطر بعض العلوم ودينك حتى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر هذه
الحكاية ولكن بها فاعن علم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة
فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر البحث برأيك ومعقولك ودليلك وربما
وكلك الى بعض من الاشياء الذي فوضها على ما هي عليه فاني ضربت في التفكر في العلم فان ما يصور عليك

الاعمال وقلة الاساعدة بعمارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب وغلبة
عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وهو يدل على ان الانذار والتخويف هو هذا
الفقه دون تدبيات الطلاق والقذف والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار وتخويف بالقرآن على
القلوب يقفي القلب ويرفع المخشية منه كما شاهدت من المجربين له وقال تعالى فهم قلوب لا يفقهون بها
واراد به صحابي الايمان دون الفتاوي ويجري الفقه والفهم في القلوب اسمان لمعنى واحد انما يتكلم
في عادة الاستعمال تدعا وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخالق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة علم ايا
التدريبات الفتاوي او نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال عليه السلم على ما حكاه ابن ماجة
وسئل سعيد بن ابرهيم اي اهل المدينة افقه فقال القاسم فكانه اشار به الى ثمرة الفقه والتفقه
العلم الباطن دون الفتاوي والاقضية وقال عليه السلم الا ابئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى
قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة
عنه الى ما سواه والمازري اشرف سالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اتصدع قوم بذكر الله تعالى
عندي الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى زياد القاضي وزياد الغزي
وقال لم تكن بحالس الذكر مثل مجالسكم هذه بيقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سرد انما
كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونحمد الله علينا فسمى تدبر القرآن وتفهم
تفقها وقال عليه السلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها
كثيرة وروي ايضا موقوفا على ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا ورسائل
زياد النحوي الحسن عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك قال الحسن ثكلتك امك زياد
وهل رأيت منهم بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على
عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل شيئا بجميع ذلك
لحافظ لفروج القاضي ولست اول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للقضاء في الاحكام الظاهرة وكان
كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان لحاجتهم الى علم الآخرة اكثر فصار بعض هذا
التخصيص تلبس بعث الناس على التجرد لهذه العلوم عن علم الآخرة واحكام القلوب ويجدد على ذلك
معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعلم عسير والموصل به الى طلب الولاية والقضاء الجاه
والمال متعذر فوجد الشيطان بحاله تحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي

ما سمي محمودا في الشرع به اللفظ الثاني في العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وبآياته وأحكامه في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسر بالعلم بالله وقد قصر رضي الله عنه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالتناظر مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فقال هو العالم على الحقيقة وهذا فضل العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا قرب بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم أو أكثره في العلم بالله وبأحكامه وأفعاله وصفاته وقد صار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فعدلت بذلك عن طول العلماء مع جهلها بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا لما خلق أكثر من طلبة العلم اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام وهو طريق المجادلة والاحاطة بمقتضيات الخصم والقدرة على الفلج فيها بتكثير الأسولة وإثارة الشبهات بالتي الا الزامات حتى لعبت طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وهي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يرضى من شيء من أئمة العصر الأول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح بابا من الجدل والمراء وأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أول السماع فقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهم لم ينتفع به وهو أن يرى الأمور كلها من الله رؤية تقطع النفاة عن الأسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر إلا منه وهذا مقام شريف لعلي في ثمرة التوكل كما سيأتي في بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضاء والتسليم لحكم الله وكان أحدهم يثمر إليه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له إن مريضه اطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني وفي الآخر لما مرض فقيل له ما ذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال إني فعال لما أريد وسيأتي شواهده في كتاب التوكل إنشاء الله وكان التوحيد جزءا نفيا وجزءا إثباتا أحدهما أيسر من الثاني من الآخر فخص الناس الاسم بالشطر الصعب المخاصمة للفلسفة وأعلى الفلسفة بالكلية فالشطر الأول أن تقول بلسانك لا آله إلا الله وهذا هو توحيد اسمه التثليث الذي يصرح به النصارى ولكنه يصدر من المنافق المخالف للقلب فخالف سر جميع الشطر الثاني في أن لا يكون في القلب مخالفة ولا إنكار لمضمون هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد علم الخلق والمتكلمين كما سبق وحراس هذا الشطر من تشويش المبتدعة الثالث وهو الباب الذي

يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع النظر عن الوسائط وان يعبد الله عبادة يفرد بها فلا يعبد غيره
ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى لكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبودا قال الله تعالى افرايت من اتخذ
الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض آلهة عبدت في الارض عند الله هوى متبع وعلى العاقل المحقق ان تامل ويعرف
ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس
الى المالوفات امر الهي الى يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والانتقام
اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غير فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات
الصديقين فانظر الى ما ذا اصل دعاوي مدعي وكيف اتخذ هذا مستمسكا لبغي والتشفي بما اسميه مجردة
مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصيح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وهو اول الكذب يضاف الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه
متوجها الى الله على الخصوص فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة بما امر به الا من
سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون الوجه اليها متوجها اليه فضلا
عن ان يعين الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب وهو المطلوب المقصود فكيف يصدق قوله
وقلبه مترد في اوطار وهواجس الدنيا وهو متصرف في طلب الحيل لجمع المال والتكاثر بالاسكاثر من
الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فاي وجه ووجه للذي فطر السموات والارض وهو مع ذلك معترف عن
حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع
نظر الله تعالى هو المترجم عنه وهو القلب فهو محل التوحيد ومنبعه الفقط الرابع الذكر والتذكير
وقد قال الله تعالى وذكرهم فان الذكرى تنفع المومنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر انها رياض الجنة كما قال
عليه السلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان
لله ملايكة سياحين في الهواء سوى ملايكة الحفظ اذا راوا مجالس الذكر نادى بعضهم بعضا الا هلموا
الى حاجتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويحيطون الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فقل ذلك في مارى اكثر الوقاظ
في هذا الزمان واغلب عليه من القصص والاشعار والسجع والمطلعات واما القصص فهي بدعة وقد
روي انه سئل عمر عن المجلوس الى القصاص وقال لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في
زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت الفتنة فعلم القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا
القصاص ولولا انه اخرجت وقال لضربة قلت للشرطي فستقبل القاص بوجهه فقال وانا المدعو طلبي

وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت بني الامير القعقاع ان يتصدقا ويصل الا
جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شواربه فقال القاص
ياشيخ لا تستحيي فقال لم اتم اربعين سنة وانت في كذب انا الاعمش وما حدثتك وقال احد اكذب الناس كذبا
القصاص والسؤال واخرج علي كرم الله وجهه القصاص من مسجد البصرة وقد سمع كلام الحسن البصري فلم يخرج
اذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان
وجه الحذر منها وينكر بالاء الله ونعمائه وتقصيره في شكره ويوبخ عشاق الدنيا وحبها وتصرفها
وقلة عهدها وخطر الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير الذي هو شرعا الذي ورد الحث عليه في حديث ابي ذر حيث
قال لحضور مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور
الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع قراءة القرآن الا بعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المتزخرفون هذه الاحاديث
حجة على تركه انتهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وزهدوا عن طريق الذكر الحق واستغلوا بالقص
الذي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص ويخرج عن القصص الواردة في القرآن ويزيد عليه
فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر سماعه فان كان سماعا من نوع ذلك الباب على نفسه
اشتغل عليه المتصدق بالكذب والناقع بالفساد فمن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل رحمه الله ما
احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء فيما يتعلق بامر دينهم وكان
صحيح الرواية فلا اربه بأسا ولهذا الكذب وحكاية احوال تؤدي الى هفوات او مساهلات يقصر فهم
العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوات بادرة مرفوعة بتكفيرات وتدارك بحسنات يغلب عليها
فان العامي يتهم بذلك في مساهلاته وهفواته ويعتقد فيه عذر انيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن
بعض المشايخ وبعض الاكابر وكنا بصدد المعاصي فلا فرق ان عصيت الله فقد عصى من هو اكبر مني بغير
ذلك جراءة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يجمع القصص
المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع
الحكايات المرغبة في الطاعات من عند انفسهم ان قصد فيه دعوة الخلق الى الحق وهذا من زعات الشيطان
فان في الصدق مندوحة عن الكذب فضلا ذكر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع
في الوعظ كيف وقد كان تكلف السجع وعد ذلك من التشدق قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع
هذا الذي يغضك الى لاصبت صاحبك هذا وقد كان بجانبه في حاجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

عبد الله بن رواحة في جمع بين ثلث كلمات اياكل والجمع بابن رواحة وكان الجمع ما زاد على اثنين وذلك ان
قال ذكل الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال
صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الكهان واما الاشعار فكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم
الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي ولكن ما اعتاد الوعاظ من الاشعار
ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال مع الفراق والجلس للمحبوب لا لبعلات
الصوام وبالجملة مشحونة بالشهوات وتلهي بعضهم غير متفكه عن الالتفات الى الصور المحبة فلا يبكي الاشعار
من تلوعهم الاماهو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشوق فيرهقون ويتواجدون واكثر ذلك اما كلهم
الى نوع فساد فلا ينبغي ان تستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل الاستشهاد واستئناس قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وليحضر المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم
الله وان لم يكن معهم غيرهم فاذ ذاك لا يضر بهم الشعر الذي يشرح حاله الى الخلق فان السمع يزل كل ما
يستمعه على ما يستولي على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان المجنيد يتكلم على جماعة
عشرة فان كثروا لم يتكلم وربما احضر مجلسه عشرون وحضر جماعة باب داود بن سالم وقيل له تكلم فقد حضر اصحابك
فقال ما اقول لاصحاب انما هم اصحاب المجلس اي اصحاب هم الخواص واما الشطح فمنفي به مصنفين من الكلام
احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع ادعائه والوصال المغني عن
الاعمال القاصرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة
بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل الطامات
كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق ويحكى عن ابي يزيد البسطامي انه قال سبحاني
سبحاني وهذان من الكلام عظم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا
مثل هذه الدعاوي فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك
المقامات والاحوال فلا بعد الا غبيا عن دعوى ذلك لا نصم ولا عن تلقف كلمات مختطفة مزخرفة
وربما انكر عليهم ذلك لم يجز له ان يقول ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب الجدل
على النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بكاشفة نور الحق فهذا وقع بما قدرنا استطارة في
بعض البلاد شره وعظم ضرره ومن نطق بنبي سنة فقد افضل في دين الله من احيا عشرة واما
ابو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكي عنه وان صح ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام
يرد في نفسه كما لو سمع وهو يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم عنه ذلك الا

على سبيل الحكاية الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة وفيها عبارات هائلة وليس وراء هذا طايل عند ذلك اما يكون غير مفهوم عند قايلها بل لعصورها عن ضبط في عقله وتشويش في خياله فقلة الحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان يكون مفهوما له لكنه لاستيلاء على قلبه ولسانه ارادة عبارة تدل على غير ما له عادة العلم وعدم تعلق طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الا نادرا فاذا ذهل لطف عن الكلام الا انه يشوش الثوب ويوحش العقول ويحير الاذهان ويحمل على ان يفهم منها معاني سالديت بها ان يكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما انت محدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون وهو ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه الله فان كان يفهمه القايل دون السامع فما يحل له ان يقول وكم قال عيسى صلوات الله عليه لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كما لا يحسن وضع الدواء في مواضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يختص بها وهو صرف الالفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا تسبق منها الى الافهام كارباب الباطنية في التاويلات وهذا ايضا حرام وضرر عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعوا اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ المستفادة منها كلام الله وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل يتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشايعة الفظيع ضررها وانما قصد اصحابها بها الاغراب فان النفوس مايلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وشرايعها على ما رايتهم كما حكيناه من مذهبهم في الكتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله الق عصاك اي كل ما سوى الله عليه وتحقق ما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قول عليه السلام تسحروا فان السحور بركة ارادة الاستغفار بالاسحار ومثال ذلك حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ان المراد به الخيط الذي يتبين من ظلام الليل وبياض النهار وعن تفسير المنقول عن ابن عباس وعن سايرهم وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانه قطعا كتاويل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوى كونه

ذهب رأي جهل وغيره ما من الكفار وليس من جنس الملائكة والشياطين وما لم يدرك بالحس حتى يحتاج
التأويل إلى القاطعة وكذلك جعل القصر على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويتأول
تعرق وعلى إلى الضرس المباركة فهذه امور تدرك بالتواتر والحس بطلانها وبعضها معلوم بغالب
الظن وكل ذلك امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم
ينقل عن ذلك شيء من الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع أكبابه على دعوة الخلق
وعظهم ولا يظن بهؤلاء عليهم السلام من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وهي الاضافة
وهو ان يكون غرضه ورأيه تقريره وتحقيقه فيستشهد بآية القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد
لتقريره عليه دلالة لفظية لغوية او عقلية ولا ينبغي ان يتوهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن الا بالاستبطاط
والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والتابعين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم ان
جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم فانها لو كانت مسموعة لما احتيج الى الحمل فيكون ذلك مستنبطا
بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
ومن فتح من اصل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه
يتصدى بها دعوة الخلق ينبغي من تسجير الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو في
نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يراها حاصة حديثا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام من كذب علي متعمدا
فليتبوأ مقعده من النار بل التأويل في تأويل هذه الالفاظ اظلم واعظم لانها مبطلة للفقه بالالفاظ
ومقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي
الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت
هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في الفصل الاول كنت كمن طلب الشرف
بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ اللفظ الخامس
وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على المخنث يدعي الفرعنة
على اكفاء السوقة في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله عز وجل عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وقال عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة
عنه وابن ما ذكرنا نقل وعض به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان اشرح
واعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرع الى اشراع الدين من قلوب الخلق

ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق قال هم هذا حتى كرر عليه ثم قال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس وانبكا الحيرة في ان تنظر نفسك تشتغل بالسلف او تتوغل في جبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم فادرسه ما امكنك فان الناس عليه فاكثر مبتدع محدث وقد تم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء فقال الذين يصلحون ما افسد الناس من سنتي والذين يحيون ما اماته من بعدي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة حيث عيبت واذا عرفت ذلك قال الثوري اذا رأيت العالم كثيرا الاصدقاء فاعلم انه حافظ لان ينطق بالحق ابغض

بيان القدر المحمود من العلوم التي ترجع اعيان العلوم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكل ما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم هو محمود منه مقدار الكفاية ولا حد للفاضل عليه والاستكثار فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة فانها يذم قليلها وكثيرها كالقسم الاول وهو سؤ الخلق وبينهما حد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل كالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره لا فائدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فنفعه لا فائدة فيه اصلا وضرر العمر الذي هو نفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفائس مذموم بل منه ما فيه ضرر بين على ما يظن ان يحصل به من نفع وعلى الدنيا فانه ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه والقسم المحمود الى حد غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وبصفاته وافعاله وسننه في خلقه وكيفية ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته والتوصل به الى سعادة الآخرة وبذل المجهود فيه الى حد الجهد قصد عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يخوض الخائضون على سواحله واطرافه بقدر ما يتيسر لهم وانما يتعمق اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم حسب اختلاف قربهم وتفاوت تقدمهم في حظهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يستطيع به الكتب ويصين على الشبه لان العلم ومشاهدة احوال العلماء الآخرة كما يأتي في علامتهم هذا بما لا مزيد عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتزكيته عن علائق الدنيا والتشبه فيها بانبياء الله واوليائه ليتمتع منه كل سالك لما يطلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد هيهات لا فناء فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا ينتاح لها سالم واما العلوم التي لا حد لها الاقتداء مخصوص في العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل

علم منها اقتصاد هو الاقل واقتصاد هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا ترد له الى اخر الوجوه كل احد
يعلمين انما مشغولا بنفسك وانما مستفرغا الى فراغ بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح
غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب
ما يستفيده حالك وما يتعلق به من الاعمال الظاهرة من نحو الطهارة والصلاة والصوم وانما الاهم الذي
اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها ويذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحسد
والرياء والكبر والعجب واخواتها هذه الخصال جميع ذلك مهلكات واعمالها مع الاشتغال باعمال الظاهر
يضاهي الاشتغال بطلاء الظاهر البدن عند الشاذي بالجرب والدمامل والفارون باخراج المادة بالفصد
والاسهال ومشوبة الصلاء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطبقية من الاطباء بطلاء الظاهر البدن على
الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الامراض التي مبادئها وينابيعها وهي في القلب
وأنا فارغ الاكثرون الى الاعمال الظاهرة من تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب
كما يفزع الى طلاء الظاهر من استصعب شرب الادوية المرة الحقنة فالمريض يتعب في الطلاء ويزيد في المرض
ويتضاعف به المراض فان كنت مريد الآخرة وطالب الفلاح وهاربا من مهلكات الابد فاشتغل باصلاح
العلل الباطنة وطلاحها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم غير ذلك بكتاب المقامات المحمودة المذكورة
في ربع المنجيات لها فان القلب اذا فرغ من المذموم اصلا بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش
بثت فيها الصنائع المنبع والرياحين فلم يفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لاجل
الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب
داخل ثيابه وحشت بمشاطه وهو يطلب مذبة يذهب بها الذباب عن غيره من لا يضيره ولا يخيفه ما يلاقيه
من تلك الجيات والعقارب اذا حمن بر ان نزعت من نفسك وتطهيرها ما قدرت على تركه ظاهرا لائم
وباطنه وصار ذلك دينا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع
الترتيب فيها فابتدأ بكتاب العلم الي ثم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وبيان
علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكن ذلك في السنة
ثم اشتغل بالفرع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلم
على ما يتسع له العمر ويساعد عليه الوقت ولا تشتغل بتركيب فرض واحد منها الا للاستقصاء فان العلم
كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره
فلا ينبغي ان يتسع فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من سائر علم اللغة على ما يفهم به كلام العرب فيطلق

من غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب
والسنة فامر علم الاول اقتصار واقتصاد واستقصاء ومن نشر الهمه في الحديث والتفسير والفقه
والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في التفسير ما بلغ نصف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي
النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما بلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفته في الوسيط فيما وراء
ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الي نهايته واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل اصح الصحيح
بحيث يغلب علي ظنك جزما بعلم متن الحديث واما حفظ اسماء الرجال فقد كفيت فيه ما تجده عند
من قبلك وكان تعبك علي كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيح ولكن تحصيله بحيث لا تقدر علي
طلب ما يحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليها ما خرج عنها مما اورد في المسندات
الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الي ان يجانب كل ما نقل من التصحيف والقوي والصحيح السقيم
مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واسمائهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار
فيه ما يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي ابتدأ في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما بلغ كمختصر
اسفله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الي ما
وراء ذلك من التفريعات واما الكلام فمقصود حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف
لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة يحصل رتبة الاقتصاد
منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذه الكتب والاقتصاد
فيه ما بلغ في رسالة ورتبه وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة
مبتدع بمعارضة بدعته بما يفسدها ويزجرها عن قلب العامي وذلك لا ينفع الامي العوام قبل ان تشوش
عقائدهم اما المتبحر بعد ان تعلم من الجدل ولو شيأ يسيرا فقد ما ينتفع بما الكلام فانك ان لم تزعزعه
لم تركه معتقدا ما حال بالقصور علي نفسه وقد ان عنه جوابا ظاهرا يعجز عنه وانما انت تلبس بقوة
المجادلة عليه واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل فيمكن ان يرد اليه بعد قبل ان يشتد
التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس عنهم اذ المتعصب سبب تتح العقائد في النفوس
وهذا ايضا من آفات الاصلاء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الي المخالفين بعين
الازدراء والاستحقار فينبعث منهم الداعي بالمكافاة والمقابلة وتتزايد بهم علي طلب نصرة
الباطل ويقوي غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولربما ان من جلبت اللطف والرحمة والنصح في الخلوة
الايمة مرض التعصب والتعيير لا يجدي فيه ولكن لما كان الجاء لا يقوم الا بالاستيلاء والاستيلاء الا

والله اكبر والله اعلم الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الحلا
وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشرط اباحتها اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلما بالفقه وفتياها في احكامه ومستقبلين بالفتاوي والآثار
كانوا الاقتصرون بالفتيا الا نادرا في وقايع لا يستغني فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة
وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوي وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على العبادة بكنه اجتهاد
كما نقل عن سيرهم فلما انقضت الخلافة بعدهم الى توام تولوا بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوي
والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استخدامهم في جميع احوالهم لاستنابتهم في بعض احكامهم
وكان فريق من علماء التابعين من هو مستقر على الفتوى لاستدلال وملازم صفة الدين ومواظب على سنة العلماء
السلف فكانوا اذا طلبوا لعمل او عرض لهم اضطراب نظام الى الالتجاء في طلبهم لتولية القضاء والحكومات
فرأي اهل تلك الاعصار هذا العمل واباء الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم وصلا
الى نيل الغرض وتدرك الجاه متوسل الولاة فاكبوا على علم الفتاوي وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم بطلب
الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والملح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الاستدلال فاجتمع
الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اغنياء بالاعراض عن السلطين اذلة بالاقبال
عليهم الا من وفقه الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوي والاقتداء
لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يجمع مقالات الناس
في تواعد العقايد ومالت نفسه الى علم الكلام ورغبته الى المناظرة والجادلة في الكلام فاكب
الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف وربتوا طرق الجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في
المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والدفاع عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم
ان غرضهم الاستدلال بفتاوي الدين وتقدير احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد
ذلك من الصدود عن هم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة لما كان قد وقى الله من فتح باب التعصب
الماضية والمحدثات الناشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة
في الفقه وبيان الادلة من مذهب الشافعي رضي الله عنه حتى رأى جمعية على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون
العلم واقبلوا على المسايل الخلافيين الشافعي رضي الله عنه رجعوا بها على الخصوص وبنوا هذا
في الخلاف مع مالك رضي الله عنه واحمد بن حنبل وزعموا ان غرضهم استنباط دقايق الشرع وتمهيد اصول الفتاوي واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات وربتوا فيها انواع الجادلات في التصنيف

والله اعلم

ي ترده من خبر الي اية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا لا يذكرون كل ما يحفظهم بل يحفظ كانوا
نظرت فيه انما من ان يناظر من يرجو الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم
مرون من مناظرة الفضل والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون عن دونهم طمعا في
ريع الباطل عليهم وورا هذا شروط دقيقة وكمن في هذه الشروط الثمانية سابعدك الي من يناظر
ه ومن يناظر لجلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستولي على قلبه وهواه يبقى عدوه
لا يزال يدعوه الي هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسايل المجتهد فيها مصيب اي سالم الجيب
ي الاجر فهو ضحكة للشيطان وجزء للصديق وبذلك شمت الشيطان به باخسه فيه من ظلمات
الآفات التي نعددها ونذكرها بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من المهلكات الاخلاق
علم يتحقق ان المناظرة الموضوعة لتعرف الحق والاظهار والاظهار الفضل والشرف عند الناس
وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله الموجبة عند
عدوه ابليس ونسبها الي الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس
بحب الجاه وغيرها فنسبة شرب الخمر الي الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما
ن الذي خمر بين الشرب وسايل الفواحش ستعقل الشرب فانهم عليه قوله ذلك الي ان كاد يقيه
الفواحش بل سكر فكذلك من غلب عليه سبب الاظهار والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة
جاه ذلك الي اضمار الخبايث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق
ي في اصلة مذمتها من الاخبار والآيات في ذم المهلكات ولكنا نشير الآن الي مجامع ما يجتمع
لمناظر فمنها الحسد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يجد كلامه وتارة يجد كلام غيره فما
دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما او قوي نظرا فلا بد
ان يحسده ويحب زوال النعم عنه واشراف الوجوه والقلوب عنده اليه والحسد اربعون فمن يلي
فهو في العذاب الدايم في الدنيا والعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم
حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما يتغاير التيوس في الزريبة
ومنها التكبر والترفع على الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع
رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى الكبرياء ردايي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك
المناظر من التكبر على الاقران والامثال والترفع الي فوق قدره حتى انهم ليستنكفون على مجلس في المجالس

الروح بمساءة الناس والنقم بما يسرهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق
المؤمنين وكل من طلب المباهات باظهار الفضل فسرع لاحاله ما يستوي قرائه واشكاله الذين يساوونه
ويساوونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرات فكما ان لصوص الضرار اذا رات صاحبتها
من بعيد اراد تصويب سهامها والصفر دونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا فيريد ان يرميه ويضطرب عليه
فكره وكانما شاهد شيطانا او سبعا فاضطرب فان الاستيناس والاسترياح الذي كان يجري بين اهل
الدين عند اللقاء وما تفضل عنهم من المواخاة والتناصر والتعاهم في السراء والضراء حتى قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان من اهل الفضل نعم متفضل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جاهلة صار العلم
بينهم معاداة والحمية فهل يتصور ان يستتب الانس مع طلب الغلبة والمباهات هيهات هيهات فما هلك
بالشر الا بشر مثله اخلاق المنافقين وجزء من اخلاق المؤمنين والحمقين وهما النفاق ولا
يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمهم فانظر من اليه فانهم يلقون الخصوم ومجتمعهم وانيسهم ولا
يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمثني
كل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وغرور وانهم متواردون بالالسنة متباغضون بالقلوب
نعوذ بالله من ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاب الناس الصلع وتركوا الحلق وتحابوا بالالسن
وتباغضوا بالقلوب وقطعوا الارحام لعنهم الله عند ذلك فاعمتهم واصمهم ابصارهم رواه الحسين وقد يقع
ذلك بمشاهدة الحال ومنها الاستكبار من الحق وكراهته والحرص على انكاره لتخيله سقوط البعض بتحقي
الى المناظرات يظهر الحق على لسان خصمه وربما اظهر شهر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية
امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لنفسه ثم يعيبه المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا ويعترض
من طبعه داعية الى الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب
البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الترك
المراء بالحق على الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بني له بيتا في ربض الجنة ومن ترك
المراء وهو محق بني له بيتا في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من اقرى على الله كذبا وبين من
كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن
كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم
وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى اكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء والمتبع
لا يتصدى الا الظهور عند الخلق واطلاق المستهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من امهات الفواحش

الباطنة سوى ما يتفوه به المتماسكين منهم من الخصام الموفيا الى الضرب واللكم وتمزق الثياب
والاخذ بالفم وسب الوالدين وشتم الاساتيذ والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين
في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم
بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانخراط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده
واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشكاله المقاربين له في الدرجة ثم ينشعب من كل واحد
من هذه الخصال العشر عشرة اخرى من الرذايل ثم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الاعتداء
والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر
والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب
والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر والتكبر والخوض فيما لا يعنى وكثرة الكلام وخروج
الخشية والحرمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى ويدري المصلي منهم في صلاتها الذي
يقوله من الذي يناجيه ولا يحسن بالخشوع من قلبه واستغراق الوقت في العلوم التي هي موضوع المتكلم
مع انها لا تنفع في الآخرة سوى تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر التي في ذكر ذلك من امور
لا تجدي والمناظرون يفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك اعظمهم
دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته احتنابها ومجاهدة النفس
فيها واعلم ان هذه الرذايل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب
القبول واقامة الجاه وتيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى
اذا كان قصده طلب القضاء وعلى الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من
يطلب بعلم غير ثواب الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاكا لا ابد او يحييه حياة لا
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه
فقد فرع مع انه لا ينفعه وليته بقي ما منه على اساس وهيهات فحظ العلم عظيم وطالبه طالب
الله الملك الموجد والمنعم المسترد فلا ينفك عن الملك او الهلاك وهو كطلب الملك في الدنيا فانه
لم يتيسر الا لعباقرة لم يطمع في سلامة الا زوال بل لا بد من لزوم اوضح الاحوال فان قلت فبقي
في المناظرة فايدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرس العلوم فقد
صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرامة والتشوفات والتقرب بالعصبية
لما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمودة ولو لا حب الرياسة لاندرس

السؤال قبل ان تعلم اعلم بانك اهله وبان الكشف وما لم يدخل تحت الكشف في كل درجة من
مراتب الدرجات لا يدخل تحت السؤال وقد قال الله تعالى كرم الله وجهه ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال
ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تلقنه شيئا اذا انقطع ولا تضجر لسؤاله ولا تسأل عند ملال
ولا تطلبن عثراته فان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله مادام يحفظ امرالله في اصطناع العلم
وان كانت الجالسة سبقا للقوم الى خدمته الوظيفة الرابعة ان يتعرف الخائض في العلم في مبادئ
الامر عن الاصناف التي اختلافات الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الآخرة فان
ذلك يدهش عقله ويحيره هذه وتشوش تفكيره وتويسوس الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتلقن اولا
الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن ذا ان
مستقلا باختيار رأي واحد واذا عاودته نفس المذ[illegible] فظهر منه فان اضلال اكثر
من ارشاده ولا يصلح الا على ندور الحيان وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة بريئة الجهل
ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ولذلك منع
عن التعلم على صف الكفار وندب النجاح له ومن الفضلة عن هذا الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان
الاقتداء بالانبياء في ما نقل عنهم من المخالفات جايز ولم يدر ان مخالفة الانبياء تخالف في طايف
الضعفاء ولذلك قال بعضهم من رآني في المنام فصار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا اذ
النهاية ترد الاعمال الى الخواتيم وتشكك الجوانح الاعن رواسخ الفرايض فيتراءى الى الناظر انه بطالة
وكسل واعمال وهيهات فان ذلك مراعاة القلب في عين الشهوة والحضور ومصالحة الملك الذي هو
افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فما يرى في ظاهره اذ هو نوع يضاهي اعتذار من يلقى
نجاسة يسيرة في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسات قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فانها
البحر فهو الكوز اجود ولا يدري المسكين ان البحر قوته بحمل النجاسة ماء فتقلب النجاسة باستيلاء
الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحمله الى صفته ومثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم سالم يجوز
لغيره حتى ابيح له نكاح تسع فسوغ اذ كان له من القوة ما يقتدي منه صفة العدل الى نسايره ان
كن وانما غيره فلا يقتدي به على العدل بل يقتدي ما يشهون من التقرب اليه حتى يعد الى معصية الله تعالى
طلب رضا من هذا فليغ من فاس الملايكة بالمرادين الى بطيعة الخاصة ان لا يدع طالب العلوم شيئا
من العلوم المحمودة ولا فنا من انواعها الا ينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده الفسح
طلب التعرف به والا اشتغل بالاهم منه فاستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها يرتبط

لا تدرس العلم ولا يبذل ذلك على ان طالب الرياسة تاجر بل هو من الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر طالب
الرياسة في نفسه هالك ولا يصلح بسببه غيره ان كانت يدعو الى ترك الدنيا وذلك فمن كان حاله في
ظاهر الامر حال العلماء السلف ولكنه يضمر الجاه فشأنه الشح الذي يحرق في نفسه ويتعدى
غيره فيصلح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فشأنه النار الحرقة التي تأكل نفسها
وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا المتسلطون عليها واما
سعيد نفسه وغيره وهم الداعون بالخلق الى الله تعالى عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه
سعيد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصد في الباطن قبول
الخلق واقامة الجاه فانظر يا اخي [illegible] وما الذي استغلت بالاستدلال له ولا يظنن ان الله
تعالى غير الخواص لوجهه من العلم هذا وسيأتيك في كتاب الرياء بل يأتي جميع ربع المهلكات يأتي
عند الريبة فيه لنبأ الله [illegible] الخامس في آداب المتعلم والمعلم
اما المتعلم فآدابه وظائفه كثيرة ولا ينظم تفاريقها نسق حسن الوظيفة الاولى تقديم طهارة
النفس عن رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة السر وقربة الباطن
الى الله كما لا يصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث
كذلك لا يصح عبادة الباطن وهو القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبايث الاخلاق ورجس
الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني التكليف على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى
انما المشركون نجس نبه العقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالبصر
والمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اذ باطنه مظلم بالجنابات الخبيثة
عارية عما يجتلب به طيب البدن وخبايث صفات الباطن انتن بالاجتناب فانها مع خبثها في
الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الملايكة بيتا فيه كلب والقلب بيت
وهو منزل الملايكة ومهبط انوارهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد
والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فاني يدخل الملايكة وهو مشحون بالكلاب وزاد العلم
لا يتخذ الله في القلب الا بواسطة الملايكة فما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او
برسول رسولا وهكذا ما يرد من سدة العلوم الى القلب انما يتولاها الملايكة المرتبون بها وهم الحضرة
المطهرون المبرأون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يورثون بما عندهم من خزاين رحمة الله

اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الغرة اولى فان ذلك كان الطب اشرف وان كان اكثر بالحين وبهذا يتبين
ان اشرف العلوم العلم بالله سبحانه وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فانه
وان ترغب الانفس وتحرص الاعلى الوظيفة الثامنة ان يكون مقصود المتعلم في المال تحلية باطنه
وتجميله بالفضيلة وفي القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملاء الاعلى من الملائكة المقربين
ولا يقصد به الرياسة والمال ومباهاة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصود طلب العلم
الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم حتى
علم الفتاوي وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات
والمتممات من مرتب العلوم التي هي فرض كفاية ولا يمنعن من علو همتك في اثناء علم الآخرة تعيين
هذه العلوم فالمتكلمون بالعلوم كالمتكلمين بالثغور والمرابطين لها والغزاة مجاهدون في
سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسد الثغر ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم
ولا يشك واحد منهم ان الاجر لكل منهم على قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء
قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى هم درجات عند
الله والفضيلة نسبية واستعارنا العبارة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيس
بالكتابيين ولا تظن ان ما ذكرناه من الرتبة العليا فهي اسقط من القنديل الرتبة العليا للانبياء عليهم
ثم للصلحاء الراضين ثم العاملين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من جعل متعال ذرة خيرا يره ومن
قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه وفضله لا محالة الوظيفة التاسعة ان يعلم نسبة العلوم التي
المقصد كي لا يؤثر الرفيع الدني على البعيد والمهم على غير المهم ما يعنيك ولا يعنيك الاشتغال به في الدنيا
والآخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر
ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى بعد الاباد وعند ذلك يصير الدنيا مترلا والبدن مركبا والاعمال
سعيا الى المقصد والمقصد الالتقاء الله تنبيه النعيم كله ولذ كان لا يوثر في هذا العالم قدره الا
الاقوياء والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم اعني النظر الذي طلبه الانبياء
وفهمه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب فبعضهم يفهمها بالموازنة بمثل
وهو ان العبد الذي علق همته وتكيته من الملك على الجاه وقيل له ان تجهت وتحملت الى
العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الجاه والاستيلاء وعاقك في الطريق ما فيه مرضاة ذلك
العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فلا تملنه انسان من الشغل الاول تحيلا

وعلم الابدان والنظر الى الفقه انه اشرف العلوم الظاهرة المتابعة لا العلوم الغريزية الباطنة فان قلت ايهما اشرف
علم الفقه والطب بادى الرأى والواسطة فاعلم ان انسانا اشير الى اليه ليتأمل فيه هو القلب دون البدن
ولست اعنى بالقلب اللحم المخروط المركب من اسفل اليسار الحاصل لا يدركه الحس ولطيفة من لطيفته تارة يعبر عنه
بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرح يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطة
صار جميع البدن مطية وآلة لذلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو خارج
عن الامر المخصصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس وذو عزيز اشرف من هذه الاجسام
المرئية وانما هو امر الهي كما قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة
الى الله ولكن نسبته اشرف من نسب سائر اعضاء البدن فقد اخلق والامر جميعا والانسان هو الخلق
وهذه الجوهرة النفيسة الخاملة لما تولاه الله تعالى [illegible] هذه الربقة على السواد والابيض اذ
ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر والانفس من الخلق عرضيا بقدره فالقابل يقدم الادراج
مزدوجا على الايدي ماضيون ولنتبع لفنان البيان من هذا الفن فهو ولما نحن بصدده والمقصود
ان هذه اللطيفة هي الناجية الى رب الرب لانها من امر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها وان
البدن مطيتها التي تركبها وهي بواسطتها فالبدن لها في طريق الله كالسفينة للبدن في طريق البحر
وكالراوية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم يقصد مصلحة البدن فهو من جملة مصالح
المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان مما
لا يحتاج اليه لما احتاج الى الفقه بيقين فانه لو كان الانسان مخلدا ابدا كان لا يستغني عنه ولكن خلق على جهة
لا يمكنه ان يعيش بعده الا بالاشتغال بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل
الملبس والمسكن وفي اعداد الآلات ذلك كله فاضطر الى الخالطة والاستعانة وربما اختلط الناس
وتداعت شهواتهم فتجاذبوا الاسباب فتنازعوا وتقاتلوا وحصل من تظالمهم هلاكهم بسبب
ذلك فمن هنا يجيء كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في
الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ دوام الاعتدال في التناصف من خارج
وعلم طريق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال الاحوال من التناصف في المعاملات والافعال
فقه وكذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمقصود علم الفقه او الطب او المجاهدة نستدل بصحيح
منه كالمقصود لشراء الناقة وعلفها وشد الرواية وغيرها انما هو لسلوك بادية الحج والمستغرق هو في
دقائق الكلمات التي يجري في مجادلات الفقه كالمستغرق هو في دقائق الاسباب التي بها يتحكم

بعض من لا المتقين الوظيفة الثانية ان يقصد بطلب الشرع صلوات الله وسلامه عليه
فلا يطلب به اغاضة العلم او المراء او يقصد به جاه والاشكار بل يعلم ان وجه الله وطلب القرب اليه ولا يرى
لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان يتقرب الى الله
بزراعة العلوم فيها كالذي يصير الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة ستحصدها بنفسك او يعلم على حفظها صاحب
الارض اذ يتقلد بمنه وقد ابى كثير في التعلم اكثر من تواضع المتعلم عند الفضول لا المتعلم ما لك هذا الذي
فلا تطلب الا من احد فقالي تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على رب العالمين وما في الدنيا خادم البدن
مركب النفس ومطيتها والخادم مراعاة ادبه شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل
مداسه بالحاسة ليتخذه فضل الخدوم خادما بالطبع ادم محذورا وذلك هو الاتكاس على الرأس
ومثله هو الذي يقوم في المرض الاكرم الجزيه [illegible] ادبهم عند تبهم وعلى الجملة فاضل المنة
العلم ما نقل كيف اتهم الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام
والتدريس بها وفي غير ما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لا
الحرامات ولو تركوا ذلك كثر كوا ولم يضلعف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم ان يقوم له في كل نائبة ينوب
وليه وعاديه عدو وينتهض معه الى معاداته ومحاربته ويسير في اوطان فان قصر في خدمته استحق
عليه وصار من اعدى اعدائه فاحسن معلم يرى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من ان
يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى تزن بها صدق
الامر الثالث الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نفع المتعلم شيئا وذلك بان يفيده من المقدار لربته
بدا استعقالها والتفاضل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان مطلب العلوم القرب من الله
تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم متوجه ذلك بنية نفسه بما تقتضي ما يكن نفيس ما يعطيه العلم
الظاهر اكثر مما يفيده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا لدنيا نظر الى العلم الذي يطلب فان كان
من علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوي في الخصومات والاحكام فمنعه من ذلك فان
هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلموا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم
التفسير وعلم الحديث وكلتا الاولين تشتغل بتعريف الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيف تهذب بها
فاذا اقبل الطالب وقصد الدنيا فلا يأس ان يتركه فانه يتعرض طبعا في ابوابها والاستيلاء لكن مسه في
اثناء الامر بالآخرة اذ فيه العلوم المخوفة من عاجل الحقرة الدنيا المحقرة للآخرة وذلك بان يمكن ان يريد الجاه
للتوصل بالآخرة حتى تقطعها بما يعطيه غيره وتجري حب القبول والجاه مجرى الطعم الذي يرمى في الفخ

ونعاد وزين محل بهاء ذلك قال علي كرم الله وجهه تعلم فطوبى لرجلان عالم متنسك وجاهل تنسك
بالجاهل بفر الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه الباب السادس
في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء قد ذكرنا ما ورد من فضل العلم
والعلماء وقد ورد في العلماء السوء آيات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن
الواجبات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وهي على العلماء الذين
الذين عندهم من العلم التسلح بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها قال النبي صلى الله عليه وسلم
إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون
الرجل الذي يكون بعلمه عالما وقال أيضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في
القلب فذلك العلم النافع وقال أيضا يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال أيضا
لا تطلبوا العلم لثلاث لتباهوا العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهي
النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عند أهله ألجم يوم القيامة بلجام من نار وقال أيضا لأخاف على
أمتي من الدجال فقيل وما هو قال أئمة مضلون وقال أيضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم
يزدد من الله إلا بعدا وقال يحيى عليه السلام إني بحق تصفون الطريق للمريدين وأنتم مقيمون مع الخيرات
فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظم خطر العلم وأن العالم إما مستوجب هلاك الأبد أو مستحق النجاة
فالعالم بالخوض في العلم قد حرم السعادة إن لم يدرك السعادة وأما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه
إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا كيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان
جاهل القلب والعمل وقال الحسين لأكون من جميع علماء العلماء وظرائف الحكماء ويحيى في العلم أحب
إلي منها وقال رجل لابنه هريرة أوصاني أتعلم العلم وإياك أن أضيفه فقال لكن يتركك العلم أضاعك
له وقيل لإبراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندامة فقال أما في الدنيا فصاحب الدنيا فصاحب المعروف أي
لا يشكر وأما عند الموت فصاحب مفرط وقال الخليل بن أحمد الجهال أربعة رجل يدري ويدري أنه
يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فانتبهوه ورجل لا يدري ويدري
أنه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فاهجروه وقال
الثوري إنما فقد العلم بالعمل فمن أبى بر ولا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم
فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل يأتي على الناس ثلاثة عشر يوما ذل وحق فيهم أفقر عالما
يلتمس به الدنيا وقال الحسين حق على من طلب العلم أن يحزن قلبه وأفسد ما جمعت لمتاع الضلالة بالهدى

يطلب الكلام لعجزه لا ليعمل وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يقولون بالله من
العالم بالله وروى ابو هريرة انه عليه السلام قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله لصيب به عرضا
من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله تعالى علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف
علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض
هذا الادنى وقال في علماء الآخرة ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة الى قوله لن تبور وقال في
علماء الآخرة ان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا وقال في
علماء الآخرة ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا الى قوله خشوعا وقال
في علماء السوء فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه
فمن ترك العمل بما فيه وتبع هواه وطلب الدنيا بعمله وروى ابو الدرداء انه عليه
قال اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا
بعمل الآخرة ويلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى من السكر وقلوبهم
امر من الصبر ايا ي يغترون وبي يستهزؤن لاتحين لهم فتنة تدع الحكيم حيران وروى الضحاك عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس
ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان البحار ودواب الارض والكرام
الكاتبون يصعدون على القيمة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فبخل بالدنيا
فضن بها عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فهذا يلجم يوم القيمة حتى يفرغ من حساب الخلق وأشد
من هذا عذابا رجلان رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول لموسى صفي لي موسى صفي لي وموسى عليه
حدثني وحدثني فقال له موسى اكليم الله حتى اذا وكز ملك الموت موسى فقضى عليه موسى فلما جاء
له اثر الحق جاءه رجل فقال يوم وفي يده حتريز وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا
قال نعم هو هذا الخبيث فقال موسى يا ويلتى ويا ويلتى اسأل الله تربة ابي حتى اسأله بما اصابه هذا فاوحى
اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكني اخبرك لم سخطت هذا بانه كان
يطلب الدنيا بالدين وأحفظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام شهوة
وزيادة ولا يرى ان احدا يحسن مثل ما يحسن وفي الفقه سلامة وعلم ومن افضل من يخزن علمه فلا يصاب
بوجه من الوجوه فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يحب ان يرى في ثياب السلطان فان في
عليه شيئا من طعامهم ينتفخ من حسنه فضرب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل
علمه وثيابه مدينة لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الخلة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من

النار من العلماء من يتعب نفسه للدنيا فيفوق بالخطاء وأيه بغض المتكلمين فذلك في الدرك الرابع
النار من العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليعزز به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار
ومن العلماء من يتعلم علما ويعلمه ولا يعمل فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء
من يستمرئ الرعي والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك
بالصمت فيه فتغلب الشيطان وإياك ان تضحك من غير عجب او تمشي من غير أرب وفي خبر آخر ان الله
ليشرف من السماء ما بين المشرق والمغرب ما يزيد عن واحد ضاحك بوجهه ويروى ان الحسن البصري
جلس اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة آلاف درهم من عشرة آلاف درهم من دين فقال يا
سيدي هذا نفقة وهذا كسوة فقال الحسن حاشاك ان تغم اخاك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك
ان من جلس مثل مجلسي هذا وجبل من النار بين يديه لحقير يوم بقاء والانطلاق لدوريه عن جابر
رضي الله عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى
خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة
الى النصيحة وقال مثل علماء امتي كمثل انبياء بني اسرائيل وقال الحذيفة وابن عباس رضي الله عنهم يأتي على الناس
زمان يكون العلم في ادبارهم والجهل في اقبالهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الاخلاص في العمل
ان لا تحب ان يحمدك احد الا الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى اذا مر بريح تسفو انفسكم وقال تعالى في كل موضع اذا ذكروا الله
وقال الشيخ عفيف الدين اليافعي رحمه الله تعالى اخاف عليكم ان تكونوا ممن قال الله تعالى فيهم
الا واطيعوا الله واطيعوا الرسول وقال تعالى ليس عليه السلام يا ابن آدم حفظ نفسك فان اسخطت فعلى الدين
والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي بقوم لهم مقاريض من نار
يقرضون شفاههم كلما قرضت عادت كما كانت فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء خطباء امتك الذين
يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة الى النار بعد الاوثان وقال
ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل
الجنة الى قوم من اهل النار فيقولون لهم ما ادخلكم النار فانا انما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم
وتعليمكم فيقول انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وقال عامر الاحول قيل لبعض الصالحين من اشد الناس
عذابا يوم القيامة قال عالم لم ينفعه الله بعلمه وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الذين يتعلمون العلم ثم لا

يعلم علمه زلت به قدمه وعن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وافسدوا بما وعظ الناس قد اسمعت صماما
اوجبت منهم امرا انت تابيها اوبيك لانه من خلق وما في مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال
ابرهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقليني تعبر فقلبته فاذا عليه مكتوب يا ابن آدم انت بما تعلم
لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرئ على
الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات
الله وقال ابرهيم بن ادهم لقد اوجعنا في كلامنا نحن فلن وما لنا شيء اعجب الينا من نحن وقال الاوزاعي اذا
بدا الادب ذهب الخشوع وروي مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال ادركت ثلثي عشرة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم انكا مذ رأيت العلم يذهب اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما لي اراكم ايها تيم ان تعلموا فتعلموا يأبركم الله حتى تعلموا وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم
ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فاضحت تكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله
تبارك وتعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد وقال معاذ بن جبل اصفدوا زلة العالم لان مزلة العالم
كالحوت يطفو عليه زبده وقال الحسن ويحك ما ذنب العالم ان زل بزلته عالم من الخلق وقال ابن
عيينة ان من ابهم الزمان احد هؤلاء زلة العالم وقال ابن مسعود ويأتي على الناس زمان تحلم فيه
عقوبة القلوب فلا يستتم بن منذ بالعلم حالة ولا يستقيل فتكون قلوب علمائهم مثل المصباح من
نظائه الحجر يزلزل عليها فتطفأ فيصير ظلمة عذرية حلكة اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا
وايثارها على الآخرة عند ذلك يسلبها الله حلاوة مناجاته وحلاوة مصالح الحكمة من قلوبهم فتصير
قلوبهم حيث يشاء انه يحضرهم بلسانه بعض من في مجلسه احبب الاشياء الى الانسان بعد حب الله
ورسوله الذي لا آله الا هو ما كان الا لان العمل على الغير الله والمتعلمين تعلم الغير الله وفي الانجيل
مكتوب لا تطلبوا علما لم تسألوا حتى تعملوا بما علمتم وقال عيسى عليه السلام انكم في زمان من ترك فيه
ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بما علم نجا منه كثير الباطلين واعلم ان مثل العالم
مثل الفانوس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الفضاء ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة
قاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء ثلاثة
ناس في الدنيا ولا يزهدون ويحرصون ولا يخافون ويسألون عن كثير من الخطأ ويأتون بما يزدادون
به اثما على الآخرة يأكلون بالمستتم يقرؤن الاشياء ودون العقراء يتعاظمون على العلم كما يتعاظم
الغنياء على الرجال يتصدر احدهم على جليسه اذا جالسه غير انك لتجد الجبارون احدا الزجن وقد روي

ولكن بعض دقيقه من اسرار القرآن يخطر على قلب المجرد للذكر فالفكر فيما ذكر فيها كتب التفاسير لا يطلع عليها الفاضل المتبحر وانما انكشف ذلك للرائض وعرض على المتبحرين استحسنوه وعلموا انه ذلك من نفحات القلوب الزكية والطافه تعالى بالعلم المتوجهة اليه ولذلك ينبغي علوم المكاشفة واسرار علوم المحبة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن العمل وربما وصف هؤلاء الصلحاء قال علي كرم الله وجهه في حديث طويل القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن شديد وبنور العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه النفقة محبة العالم دين يدان به فيكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه وينقص المال بزول وبالله مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم سقش الصدر فقال هاه ان ههنا لعلما جما لو وجدت له حملة بل اصبت لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليائه وبحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق يتبع اول الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصير له الا اذا رلا اذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لاهل الثروة ليس بشيء مما الاضم الناعقة اللهم كذا بل هيت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا واما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكا وقال واشوقاه الى رويتهم فهذا الذي ذكر الحارث وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على اعماله وذكر ان من اشد اسبابه بلوغ اليقين فان اليقين هو رأس ما للدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تحصيل علم اليقين ومعناه اعني وايده ثم يفتح للطالب طريقه وذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واحسوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل قال صلى الله عليه وسلم ما نيل الرجل

حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وفي الاولين ولكن من كان غزير العقل وجبينه اليقين لم يضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصيته لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال كعب بن معاذ ان التوحيد نور والشرك نار وان نور التوحيد احرق لسانات الموحدين من نار الشرك لسانات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الى ذكر اليقين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتحصيله فان ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ مشترك يطلق على معنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيفهمون من عدم الشك في النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات الاول ان يتساوى التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين انه يعاجله الموت ام لا وهو مجهول الحال عندك فان نسبة الموت الى كل واحد من الحكم باثبات ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا والثاني ان يميل نفسك الى احد الامرين مع التجويز بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه هل يموت على هذه الحالة او هل يعاجله الموت فان نفسك يميل الى انه لا يعاجله اكثر من ميلها الى العكس وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز احتفاء امر موجب العقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز يسارع ذلك الميل ولكنه غير رافع لوجدانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالث ان يميل النفس الى احد الطرفين بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه ولو خطر بالبال لبقيت النفس على ما كانت ولكن ليس ذلك كان معرفة محققة اذ لو احس صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز لاقتضت نفسه الشك وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وعليه اعتماد العوام في الشرعيات كلها اذ يخلو في نفوسهم مجرد السماع حتى ان كل فرقة يبقى بعقيدتها واصابة امامها وتبديعها ولزمها لا لعدم امكان خطأ امام ولزوم الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا شك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فان امتنع رجوع الشك وامكانه سمي يقينا عندهم وهو الذي اذا قيل لهم هل هو بحيث لو رجع لم يشك فهو الذي لا يمكنه التصديق به بالربوبية لان القديم غير محسوس ولا كالمحسوس والعقل فانه يصدق بوجود بما

بالعقل وليس العلم بوجود شئ قديم اوليا ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان كل
حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري يحق غريزة العقل ان يتوقف من التصديق بوجود
القديم على طريق الاستدلال وادلته ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق به بالسماع تصديقا جزما
ويلتزم عليه ذلك هو الاعتماد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان
يقال لو لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة وان كانت كلها حادثة تنفي حادثة
بلا سبب اذ فيها حادث بلا سبب وذلك محال والمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق
بوجود شئ قديم بالضرورة لان الاقسام ثلثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة
او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كان كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم
وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى احداث حدوث غير سبب فحدث القسم الثاني والاول
وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل بمثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة
العقل كالعلم بان الخطيخ مسهل او بدليل كما ذكرنا فشرط اطلاق الاسم عدم عدم الشك
فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عندهم. وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا حاجة في نفي
الشك الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار الجهل
والشك بالمرة استيلاء وغلبة على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت بمعنى ان الشك
فيه ويقال فلان قوي اليقين في اثبات الرزق مع انه لا يأتيه فهما حالتان النفس الى التصديق
اقرب وغلبة ذلك على القلب راسخ حتى صدر عنه الحكم والتصرف في النفس بالتحريص والمنع حتى
ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت ولا انفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم
من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكانه غير موجود ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استعد
له بالاستعداد له ولم يبادر فيه متمتعا لليقين فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين وذلك حال
بعضهم ما دامت بقيا الشك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين
بالضعف والقوة ويحن اذا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالحسن
بهما وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف فاذا
فهمت هذا حملت المراد من قولنا ان اليقين ينقسم ثلاثة انقسامات بالقوة والضعف والقلة
والكثرة والحضور والغيبة فمعنى الاصطلاح الثاني وذلك يرجع الى الغلبة والاستيلاء على القلب ورجحان
اليقين في القوة والضعف الاجتماعي وتفاوت الناس في استعدادهم للموت بحسب تفاوت

اليقين بهذه المعاني وانما التفاوت بالمتعلق والجملة فلا ينكر ايضا ما يتطرق اليه المجوز فلا
ينكر في الاصطلاح الثاني وانما الشفي الشك عنه ايضا لا سبيل اليه امكان فانك تدرك تفرق بين
تصديقك بوجود مكة ووجود ذرك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى عليه السلام ووجود يوشع
مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن يدري احدهما اجلي وارسخ في قلبك
من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين ولذلك يدرك التفاوت في النظريات
المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له دليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما
في نفي الشك وهذا لم ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدرك
من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك يكثر متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما
اي معلوماته اكثر فقد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوي
اليقين في بعضه فان قلت فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته بقلته وخفاءه وجلاءه
بعدم الشك وبعدم الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وبماذا تبطل اليقين
وافي مالم اعرف ما تطلبه فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به الانبياء من اول
الى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات
التي وردت بها الشرائع فلا معطي في احصائها وانما اشير الى بعض امهاتها فان ذلك التوجيه
وهو ان يرد الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الواسطة مسخرة
لا حكم لها فالمصدق بهذا موحد فان اشتغى عن تحقيقه مع الايمان امكان الشك فهو موقن ما دام
المضيق فان غلب على قلبه غلبة ازال منه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم وازال
الوسائط في قلبه بمنزلة القلم واليد ينظر الى المنعم بالتوسيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا
يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشراف وهو
ثمرة اليقين الاول ومدده وغايته وبيانه ان الحق ان الشمس والقمر والجوم والجماد والنبات
والحيوان وكل مخلوق في سخرات بامر حسب العلم الذي في الكتاب وان القدرة الازلية
هي المحيطة للكل استوى عليه التوكل والرضا والتسليم ومصادرها من الغضب والحقد والحسد
وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الفقر بضمان الله للرزق في قوله ما من دابة
في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك آته فان ما قدر له ان ياتيه سياتي اليه وبما غلب ذلك
على قلبه كان بحلاوة الطلب ولم يشتد حرصه وتاسفه على ما يفوته وانشرح هذا الباب

افضل من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة
خيرا يرى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يرى وهما المعنيان بالثواب والعقاب ثم يرى نسبة الطاعات الى
الثواب كنسبة الجزء الى الشيع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والادواء الى الهلاك
فكما يحرص على تحصيل الجزء طالب الشبع بحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة عليلها وكبيرها
وكما يجتنب قليل السم وكثيره فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول
قد يجده المؤمنون اما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة
في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن الشبهات وكلما كان اليقين
اغلب كان الاحتراز اشد والتحرز ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله مطلع عليك في كل حال وان ما
تخفيه من جوارحك مخفيا في خواطرك وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم
الشك واما بالمعنى الثاني فهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان
في خلوته مستحيا من الله تعالى في جميع احواله كالحاضر بين يدي ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا رأسه
مستحيا من كل حركة يخالف فيها الادب ويكون بين ذكرته الباطنة كمن في الحال الظاهرة
اذ يتيقن ان الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره
وتزيينه لعين الله الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام يثمر
اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق الجميلة
وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات وديعة فاليقين في كل باب من هذه الابواب مثل
الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة
من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل والمحرك
والباعث اكثر ما عددناه وسيأتي ذلك في ربع المهلكات وهذا التمكاف في تفهيم معنى اللفظ
الآن ومنها ان يكون حريصا حكيما يحفظ قلبه في جميع حالاته على هيئته وكيفيته وسيرته
وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لانه ينظر اليه ناظر الاركان تنظر منذ كر الله وكان سويته دليل على
جلاله وجماله فالجلال هيبته فوارث الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والمسكنة التواضع
وقد قيل ما البر فقال في هذه الآية احسن من الخشوع في سكينة في لبسه الابتذال وسيماه القصد
واعماله فاما التهافت في الكلام والتسرع والاستفزاز في الضحك والحدة في الحركة والنطق
فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب الله وشديد بطشه وهو دليل ابتناء الدنيا

الغافلين عن الله ومن العلماء وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري عالم بأمر الله لا بأيام
الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله
وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبأمر الله وبأيام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم
وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونقمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة والآخرة
فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة
والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم
علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله تعالى عبدا علما إلا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا
فذلك هو العلم النافع وفي الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام
المتقين وفي الخبر إن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه
أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة
ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث
من طلب الرياسة بالعلم فتقرب إلى الله ببغضه فإنه ممقوت في السماء والأرض ويروى في
[illegible] في الإسرائيليات أن حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف
بالحكمة فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردني في شيء من
ذلك وإني لا أقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق
وواكل بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له الآن وافقت رضاي
وحكى الأوزاعي عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعيذ بالله منه
وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين إلى الرياسة فلا يمقته وهو أحق بالمقت
من ذلك الشرطي وروي أنه قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال
فوك رطبا من ذكر الله قيل فأي الأصحاب خير قال صاحب إن ذكرت الله أعانك وإن نسيت ذكرك
قال فأي الأصحاب شر قال صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك قيل فأي الناس أعلم
قال أشدهم لله خشية قالوا فأخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى قالوا فأي
الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يا رسول الله قال العلماء إذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم
إن أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا في الدنيا وأكثر الناس ضحكا في الآخرة أكثرهم بكاء في
الدنيا وأشد الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا وقال علي كرم الله وجهه في خطبة

الاعتماد على المسموع من الغير بتيقظ غير مرتبي فالاعتماد على الكتب والتصانيف اصح لان الكتب والتصانيف لم يكن شئ منها في زمان الصحابة وصدور التابعين وانما حدث بعد مائة سنة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كانت الاوراق يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب ليلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضي الله عنه وجماعة من الصحابة تصنيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اشكال الناس على المصاحف وقالوا ترك القرآن يتقادم بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر برئاسة الصحابة رضي الله عنهم بكتبة القرآن خوفا من مجادلة الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلان يجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من اختلاف فانشرح صدر ابي بكر لذلك لجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطا ويقول لا تدع ما لم يعمل الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار وهو روى الشافعي عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري بالكوفة ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فيه الجدال والخوض في ابطال الخيالات ثم مال الناس اليه وراى القصص والوعظ بها اغزر علم المتين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعرفة ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان والخوض عن ذلك الا الاقلون فصار فيسمى الجادل المتكلم عالما والخاض الخوض كلامه بالعبارات المجمعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يعرفهم حقيقة العلم من غيره ولم يكن سيرة الصحابة وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها عباءته فهو لا يعلم فاستعاروا اسم العلماء وتوارث الخلف خلفا عن سلف واصبح علم الآخرة منطويا وغابر عنهم الفرق بين العلم الكلا الاخر الخواص منهم كان اذا قيل لاحدهم فلان اعلم ام فلان فكان يقول فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين الفذلكة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزماننا هذا وما شئ الا والى ان مطلع الانكار فيصرف النسبة الى الجهل ما الاولى ان يشغل الانسان بنفسه ويسكت ويعلم ان يكون شديدا في تعرض بعض صفات الامور وان اشفق عليها الجهور فلا يعرض اطباء الخلق على ما اجمعت بعد الصحابة ولكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم كما كان في التدريس والتصنيف في المخالف

ما شرع الصنعاني
ما منشوره

والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا ومال الايتام ومخالطة السلاطين ومجالستهم في المشورة وغير ذلك
الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليله والورع في
ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم
اهل الزمان واتقاهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فضم اخذ الحق الى ذلك قال
علي كرم الله وجهه خير فاتبعنا هذا الخير لما ان فيمن زهد فينا شقاء فلا ينبغي ان يكثر بخالفة اهل
العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس راوا بآراءهم فيما لم يبلغ علمهم
اليه ولم يجر نقوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل الى معرفته وذلك
قال الحسن محمد ثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء يزعم ان الجنة لمن رآى مثل رايه ومرض قلب
اتبعها يغضب ربها يراءي بها يطلب فارفضوها الى النار وان رجلا اصبح في هذه الدنيا بعين
صرف يدعو الى دنياه وصاحب هوى يدعو الى هواه قد عصمه الله تعالى منهما حقيق ان يكون في السفال الصالح
فيسأل عن علمهم ويقتص آثارهم موفق لامر عظيم فكذلك كونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا
ومرفوعا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدي هدي محمد
صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة
ضلالة الا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي
خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير
معصية وخالط اهل الفقه والحكمة وجانب اهل الذل والغضب طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت
خليقته وطابت سيرته وملك من الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك
الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول لحسن الهدي في آخر
الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسيأتي على الناس زمان يكون
خيرهم المثبط الحقق كثرة الشبهات وقد صدق فمن لم تثبت في هذا الزمان وافق الجاهير فهلك
عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة ايحسب من هذا ان مورقكم اليوم منكر زمان
قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى والله لا تزالون بخير ما وطئتم الحق فكان العالم فيكم غريب مستخف
ولقد صدق فاكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة او من ذوي المعروفات في زماننا
مرين المساجد وتحسينها واتفاق الاموال العظيمة في زخارفها وفرش البسط الثمينة فيها
وذلك كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قبل

ما يحصل بينهم وبين الترابي صاحبه وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان
ويرون انها اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التعمق في الاذان والقرآن من
ولك التعسف في الغلظة والوسوسة في الطهارة وتعديد الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب
مع القناعة بحل الاطعمة وتعريفها نظير ذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انكم اليوم
في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وكان احد يقول
تركوا العلم فاقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن
فيما مضى يسألون عن هذه الاشياء كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال او نحو
يقولون مكروه ومستحب معناه انهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام
فكان بجنبه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما احدث فانهم قد عدوا له جوابا
ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني يقول لا تسقطن لهم شيئا من
الخير ان يعمل حتى يسمع به في الارض فيعمل به ثم اني اذا راقبت ما في نفسه وجدته انما فاته لحدث ما ابتدع من
الاراء فدفع الاجماع وعلق بالغرائب فربما فتش صفاء القلب فتخيل بسببه الباطل حقا فاضطر
فيه الاستظهار بشهادة الآثار وهذا الحديث مر بنا في الخبر في صلاة العيد عند المصلى قام
اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست ببدعة هي خير مما تعلم ان
الناس قد كثروا فاردت ان يسمعهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تأتون بخير مما اعلم ابدا والله لا
ارى اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتكأ في خطبة العيد والاستناد
على قوس او عصا اعلى الخبر في الحديث المشهور من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد في خبر آخر
من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله ما غش امتك قال ان يشيع
بدعة فيعمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان صاحبي ملكا يأتيني كل يوم من خالف سنتي سقاه
الله من شله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثل
من يعصي الملك في قتل دوابه بالنسبة الى من خالفه في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما
قتل الدواب فلا وقال بعض العلماء ما تكلم في التعمق فيه السلف والسكوت عنه خطأ وما سكت عنه السلف
فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق فيما بين جاوز ظلم وتصرعته بحر من رقيه معه اكتفى وقال
صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه الغالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس
ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وقال تعالى افمن زين

الدين اضاط الغزاة والانذاء عنهم كما سيأتي في كتاب الغزاة بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف
ابن اسباط الى حذيفة المرعشي ما اظنك بمن بقي لا يصيب احدا يذكر الله تعالى معه الا كانت
مذاكرته معصية وذلك لانه لا يجد احدا صادقا فان غالطة الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع
غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يشتغل بما لا يعلم ان المستفيد انما يريد ان
يجعل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وورد انه ظهر احيا الاسباب
كالذي يشحذ السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه كخير كصلاح السيف للغزو وذلك
لا يخص بالبيع من يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنا عشرة
علامة من علامات علماء الآخرة يجمع كل واحد منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما
السلف فكن احدهم رحمك الله واما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار بها واياك ان
تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تطلب آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين سيرة العاملين الراسخين
في الدين وتطمع مع هذا ان يكون زمرة الهالكين الا اين نعوذ بالله من خدع الشيطان وغروره فاعلم
ايها المسكين ان بضاعتك لا تروج في سوق الدنيا ولا يرغب احد في شرائها

بيان فضيلة العلم وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان عظم الاشياء
انما تكمن في اظهرها لا محالة وقد ظهر شرف العلم من حيث ان العقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم
جار مجرى الفرع من الشجرة والنور من الشمس والزينة من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة
السعادة في الدنيا والآخرة وكيف يستراب فيه والبهيمة مع قصورها وعجزها يحتشم العقل حتى ان
اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه فضلا
عما يستولي عليه بما خص به من ادراك الحيل وذلك قال عليه السلام التيس في قرن كان نبي امته
وليس ذلك لكثرة ماله ولا كبر نخصه ولا زيادة في مقدار لزيادة تقربه التي هي ثمرة عقله وذلك ثمرة
الادراك والادراك واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع وذلك حتى
قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وقعت اعينهم عليه واكملها لغرة الكل
هابوه وتراجعوا عنه ما كان يتلألأ على وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه
بطريق العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما المقصد ورود الاخبار والآيات في ذكر شرفه
وقد نبه الله تعالى في اثناء قوله انظروا ماذا في السموات والارض على نور وسبيله العلم المستفاد منه وربما
يحتج فقال لو جهلنا انك رسول الله لما ظهر لنا بما اظهرت من المعجزات فانك لو كنت ميتا فاحييناك وجئت

والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصفوا بالعقل عرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه يحمد
عند ربكم واعلموا ان افضلكم من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر وفي المنزلة ورث الهيئة
وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة نصوحا
نظرها والقرد والخنزير اعقل عند الله من عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من انفسها
وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي
وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل
ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهرا قايما بنفسه لا يتجزأ علم ان
هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك قال اثنى
قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل
قالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة ولسنا نخبرك عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من بفجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات النبي من ربهم على
قدر عقولهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى
او يرده عن ردى وهل تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم الرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وان اطاع
ربه وعصى عدو ابليس وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن
عقله فبقدر عقله يكون عبادته اما سمعت قول الفاجر لولا انني اسمع ان العقل ما كنا نبذ اصحاب السعير وعن
عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السؤدد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل ما السؤدد فقال العقل وعن ابن عباس قال اكثرت
المسايل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شيء حقيقة ولمسلم دلالة
ولموقن بالجنة افضلهم عقلا وعن بسر بن عبيد الله قال ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرقة احد سمع انها
يقولون كان فلان اعبد من فلان وفلان ابلى مما سلف غير وعن هذا قال صلى الله عليه وسلم لما حضر
فلان اكم به قالوا ابركة يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انهم وايتوا على قدر ما قسم لهم من العقل
كان ضربهم وتيتهم على قدر عقولهم فاصيبهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اعطوا
المنازل على قدر ما قسم وقدر عقولهم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينصب الملايكة

والجهد وافي طاعة الله بالعقل وبحب المؤمنين من بني آدم على قدر عقولهم فما علم بطاعة الله الا عاقل
عقلا وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فضائل الناس أيها قال العقل
قلت وفي الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون بأعمالهم فقال يا عائشة وهل عبدوا الا بعد
ما أعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المؤمن
وعدته العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم
غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم رأي ورأي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين
العقل ولكل أهل بيت نعيم ونعيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل
ولكل امرء صيت ينبه اليه ويذكر وصيت الصديقين العقل الذين ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل
قسط وقسط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان أحب المؤمنين الي امرؤ من نصيب نفسه
من طاعة الله وسع لعباده وكل عقله ونصح نفسه فأبصر رشده فملك نفسه أيام حيوته فاغتنم وتاجر وقال صلى الله عليه وسلم
انكم عقلا استدركم صنوفا واستكم بما أمرتم به ونهي عنه نظرا وان كان أقلكم تعلما بيان جميعه
العقل واقسامه اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وعلى الاكثرين من كون
هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان
العقل اسم مشترك يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري
مجرى فلا ينبغي ان يطلب جميع أقسامه بحد واحد بل يذكر كل قسم بالكشف عنه فالاول الذي
به يفارق الانسان سائر البهائم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبر الصناعات
الخفية الفكرية وهو الذي أراد الحارث المحاسبي رحمه الله حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ
بها درك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم يضف هذا المدرك
هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم ليسا ان غافلين بالفعل
وبوجود هذه الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحيوان غريزة يتهيأ بها الجسم لحركات الاختيار بالآلات
الحسية فكذلك العقل غريزة يتهيأ بها بعض الحيوانات للعلوم المعقولة ولي جاز ان يسمى بعض
الانسان بالحمار في الغباوة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى أجرى العادة بخلق في الانسان علوما ليس
يخلقها في الحمار والبهائم جاز ان يسوى بين البهائم والحمار في الحيوانية ويقال لا فرق الا ان الله تعالى خلق في
الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جماد الوجب القول بان كل حركة تشاهد

قال عليه السلام وان كان ذلك لما صلح الحياة الدنيا والآخرة عند ذلك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان
في الدنيا خسيسا دنيا وقال الخ سميت الخزانة العاقل من العقل وهو حبس الدابة عن
وشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لذلك الغريزة وكذلك في الاستعمال واما الطبق على العلوم من حيث
انها تمر عما يعرف الشق بقوته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان الخشية ثمرة العلم فذلك
كالمجاز لغير ذلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعة مرجع
والاسم يطلق على جميعها والخلاف في مرجع جميعها الا في القسم الاول والصحيح رجوعها الى الاول
وهذه العلوم كانها مخلوقة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن نظرا الى الوجود اذا جرى سبب عنيها الى الوجود
حتى كانت هذه العلوم ليست شيئا مدارا عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله
الماء في الارض فانه يظهر بحفر البئر ويجتمع وتغير بالحس الايمان يساق اليها شق حديد وكذلك الدهن في
اللوز والماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرارهم لا اقرارا لالسنة فانهم انشوا في اقرار الالسنة
حسا وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وعلمنا ان
اعترافهم شهادة بذلك تنبيها على ان العلم بفطرة الله التي فطر الناس عليها اي كما ادعى فطر الى
الايمان بالله بل على فطرة الانبياء على ما يجلد اعني انها كالمخزنة فيها القوة استعدادها للادراك
ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انتظم الناس الى من اعرض فنسوهم الكفار وما في معناه
خاطر فذكر وكان كمن حمل شهادة نفسه بغفلة ثم تذكر وعاد لذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون ليتذكر
اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر
وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما ان تذكر سورة كانت حاضرة الوجود
في القلب لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يكون من سورة كانت مضمنة فيها بالفطرة وهذا حقا
خاطر للناظر بنور البصيرة شبيه بمن يرى بعض اشياء والتفتيش دون الكشف والعيان ولذلك
تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تاويل المذكر والاقرار والنفوس والعالم والمعلمات
وتمايل اليه في الاخبار والآيات ضرب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين
الاستخفاف ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المنثورة
في الدار فيتمثل بها هذه الاواني لا يرفع من الطرق ويرمي الى مواضعها فيقال له انك في حق نفسك
في بصرك فكذلك خلل البصيرة بعمى البصر وانتم منه واعظم اذ النفس كالنفيس والبدن كالدنيء

ربهم اكثر من ذلك فان قلت فما بال الرام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب
ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى الجادلة والمناظرة بالمغالطات والايهامات وهو صنعة
الكلام فلم يتمكنوا على ان يذموا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا يخفى على عقلاء هم
بل ازالوا الالسنة عن ذم العقل والمعقول وعما يسمى به عندهم فانما نور البصيرة الباطنة التي بها يرى الله
عز وجل ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذم ويتعاتى الله تعالى عليه وان ذم فانما الذم بعد فان
كان الخبر عن الشرع ثم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم المذكور لا يوثق به فيكون الشرع
ايضا مذموما ولا ملتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل
ما نريد بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى ادرك بها
حقائق الامور واكثر هذه التخليطات انما نشأت من جهل اقوام طلبوا العلم من الالفاظ ضبطوا
بضبط اسطقصات الناس بنية الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والعلم والله اعلم بالصواب

هذا آخر الكتاب والحمد لله حق حمده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
الطاهرين

كتاب

قواعد العقايد وهو الكتاب الثاني من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقايد وفيه اربعة فصول الفصل

الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي بها حرى بها في الاسلام ولبس

الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صنوف العبيد الى

المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد وحراسة عقايدهم عن لمع

الشكوك والتزهيد السايق لهم الى اتباع رسوله المصطفى عليه السلم وآله وصحبه الاكرمين

المكرمين بالتأييد والتسديد المحتفى بهم في دار الخلد عن امداده الى لا يوم لها

الامن الفرد السميع وهو شهيد المعترف باياهم في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا

مستروح لانه دائم قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا انتهاء له قيوم لا انقطاع

له دايم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يتطرق اليه بالاستشاء تصرم الآباد

وتقارض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن الحي المتكلم السميع البصير وانه ليس بجسم

مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لانه خالق المقادير والاجسام وانه لا يقبل الانقسام وانه

ليس بجوهر ولا يحله الجواهر ولا بعرض ولا يحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود وليس

كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يصح المقدار ولا يجري عليه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه

السموات وانه استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده منزها عن

المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمل العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف

قدرته وقهرهم تحت قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا بزون قربا

الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك

قريب من كل موجود وهو اقرب الي العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد وانه لا يماثل

قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحله شيء ولا يحل فيه شيء تعالى الله

ان يصيره مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو

الآن على ما عليه كان وانه مباين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه متعال

عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا يعتريه العرض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها عن

اعتقاد البدعة بنوع جدل حسن فينبغي ان ذلك للجدل بمثله يتوقع الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له الا
بالجاد لتنبيه من الشناعة بالمواعظ والتحريرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا تشفيه الا
دواء الجدل بجانان يلقى اليه وهذا نبذ بلا دليل فيها البدعة والمختلف فيها المذاهب فنشتهر فيها
على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويترتب ويوضح شبهه فان وقعت ذكر بقدر
الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان ان يعتقدوها فلا باس ان يعلق العقد
الذي اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات البدعة لمن وقعت
اليهم وهذا مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان قد ذكر بسبب مكانه
وضع سوال او ارتاح نفسه شبهه فقد بدت الصلة المذمومة وظهر الداء فلا باس ان يرتاح منه الى
القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن
النظر في قواعد العقايد الى غيرذلك من مباحث المتكلمين فان اعتقد ذلك كفى منه وان لم تنفعه
نفسه ذلك فقد يستريب الصلة من بدنه والداء غالبا والمرض يرجى بادنى لطف به الطبيب بقدر امكانه
وينتظر نفعه ادويته الى ان يكشف له الحق بعينه بحيث لا يبقى بعده اوتيقن على الشك والشبهة
الى ما تقرر له فانه قد يقع الذي يجوز ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرتاح نفسه
فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقايد كالبحث عن الاعتادات والاكوان
وعن الادراكات والخروج من ان الرؤية هل لها متعلق يسمى المرئي ام لا وان كان فذلك واحد ام
متعدد وغير ذلك مما لا يرتبط بكل مرام يكن وقوعه مع بحث عدد الى غير ذلك من التزهات
المشغلة والقسم الثاني زيادة تعديل تلك الادلة في عين تلك القواعد وزيادة اسولة واجوبة وذلك
ايضا استرسال لا يرد الاشغال الا وجها لا يخلو من لم تنفعه ذلك القدر من كلام مردد الاطناب
والتقرير فيقول قايل البحث عن حكم الادراكات والاعتادات فيها غاية تشغيل الخواطر
والخواطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتحريره كان كتب الشطرنج تشغل الخواطر فهو
من الدين بزعمك هوس فان الخاطر يصدر بسبب علوم الشرع والاشتغال بها مفرح مقدم وقد بعد
القدر المذموم والقدر الخوض من الكلام والحال التي يخاف فيها والحال التي يجوز التخصص الذي
به والذي لا يسمح فاذ قد علمت مما اعترضت به غاية البعد في دفع المبتدع والآن فقد ثار داء البدع
ودفع الداعي وارتفعت الحاجة فلا جرم ان كثيرا من العلم من فروض الكفايات كالقيام
بحراسة الاموال وسايرالحرف بالقضاء والولاة وغيرها مما يشغل اصلا يتشرف بذلك الفرض

والبحث عنه لا يدوم وقد ترك الادريس وابن سينا في كتب الطبائع كما يخلط شبه المتدرعة ما لم يعلم فينبغي
ان يكون التدريس فيه ايضا من فروض الكفايات بخلاف زماننا فان الحاجة ما كانت ماسة
اليه فاعلم ان الحق انه لابد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المتدرعة التي تثار
في تلك البلد فيتعين ذلك عليهم بالتعليم ولكن ليس من الواجب تدريسه على الجميع كتدريس الفقه
والتفسير فان هذا مثل الغذاء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يتعدى وضرر الدواء يتعدى لما
ذكرنا فيه من انواع الضرر والقائم بهذا ينبغي ان يختص بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال
احدها الفهم والعلم والتحرز عليه فان الحرف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا
وقعت والثانية الذكاء والفطنة والفراسة فان التبلد لا ينفع بفهمه والبدع لا ينفع تحرجا
فيضاف عليه من شبه الكلام ولا يخرج فيه عن قصده والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة
والتقوى ولا يكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادنى شبهة يتخلع من الدين فان ذلك
يصل عنه الحق ويرفع السد بينه وبين اللذة فلا يتحرج على ازالة الشبهة بل ينشئها ليتخلص من
اعباء التكليف فيكون سابيا سد مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا اجتمعت هذه الاقتسامات
اتضح لك ان الجهة المحمودة في الكلام ما هي من جنس جميع القرآن من الكلمات اللطيفة الموشى
في الطوايل الحنيفة المنقوشة بالمشتملة على المستبينات والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس
واذا فهموها اعتقدوا انها سحر وصنعة ويعظم اعجابها الفلاسفة فاذا قابله مثله في الصنعة
قاومه وقد تسلط الفلاسفة وكافة المبتدعة اعاذنا الله من الخوض فيه والخروج الى ما هو من الفضول
بهذا عليه وان ما نقل عن ابن عباس من معاني الحروف وما نقل عن علي من المغاليق في القدر
كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال ثم قد يختلف الاعصار
كثرة الحاجة وقلتها فلا بعد ان يختلف الحكم بذلك فهذا حكم العقيدة التي تميز الحق بها حكم
طرائق الاستدلال لاجلها وحفظها اما ازالة الشبهة وكشف الملتبس ومعرفة الاشياء على ما هي عليها
وذلك الامر الذي يترجمها ظاهرا فان اخذ هذه العقيدة فلا مفتاح لها الا الجامعة وقمع الشهوات
والاقبال بالكلية على الله وبلازمة الذكر الصادق عن مشاهدة الجلال والجمال حتى يحيى بحياة ابدية
يتجلى له من يتعرض لمعرفتها بدء الرشد وبحسب التعرض وبعد بقدر الحجاب وطهارة القلب
وذلك امر الذي لا يدرك خبره ولا يبلغ ساحله سبيلا فان قلت هذا الكلام مشير الى ان من
العلوم ما ظاهر واسراره وبعضها يبدو لا بعضها خفي يتعرى بالمجاهدة والرياضة والطلب للعقيدة

٥٦
٣٣

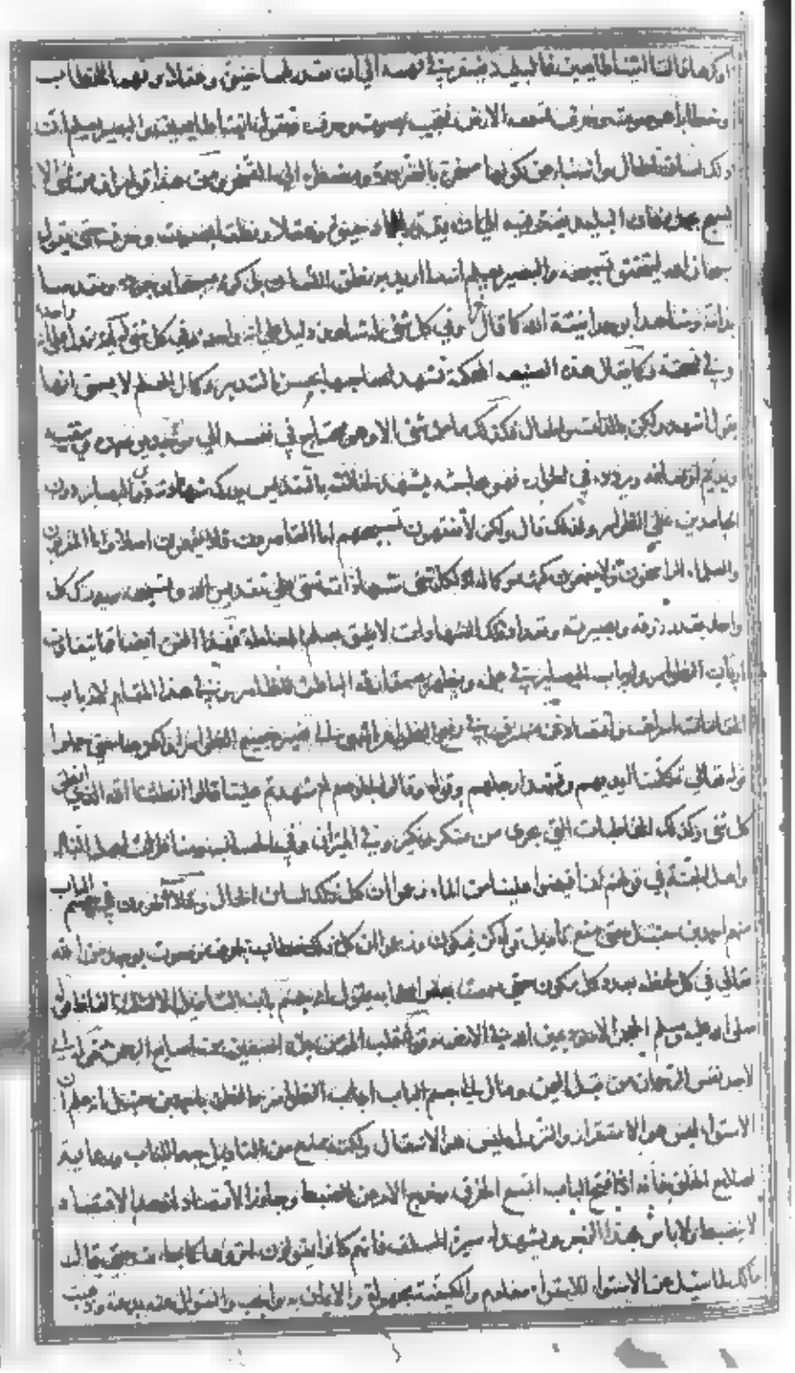

الاركان وهي اربعة وبيان كل ركن على عشر اصول الركن الاول في معرفة ذات الله
ومدار على عشر اصول وهي العلم بوجوده وقدمه وبقائه وانه ليس بجسم ولا جوهر ولا
ليس بمحل ولا متحيز ولا مستقر على مكان وانه متفرد بالالهية الركن الثاني في صفاته ويتعلق
على عشر اصول وهي العلم بكونه حيا قادرا مريدا عليما سميعا بصيرا متكلما مترها عن طرو الحوادث
واسمه الكلام والعلم والارادة الركن الثالث في افعاله تعالى ومدار على عشر اصول
وهي ان افعال العباد مخلوقة لله وانه لم يكلف العباد الا ما في وسعهم وانه مفضل بالجزاء وان له ان يعذب
المطيع وله ان يثيب العاصي لكن لا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا يجب الا ما اوجبه وان بعثة الانبياء جائزة
وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثابتة معلومة بالمعجزات الركن الرابع في السمعيات
وهي اثنتا عشرة الحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط والجنة والنار والاحكام الآتية
فالركن الاول مشتمل على اركان الايمان معرفة ذات الله تعالى ومدار على عشر اصول
الاصل الاول معرفة وجوده تعالى وبيانه ان استدلالنا على الانام يمكن فيه بطريق الاعتبار الى الصنع
القرآن فليس بعد وجدان الله بيان وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا
وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا
سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا والفافا وقال تعالى ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله
من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والارض آيات لقوم يعقلون وقال تعالى الم تر ان الله خلق السموات سبعا طباقا وجعل القمر فيهن نورا
وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال افرايتم ما تمنون
انتم تخلقونه ام نحن الخالقون وقال نحن خلقناكم فلولا تصدقون افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون
لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون افرايتم الماء الذي تشربون انتم انزلتموه من المزن
ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون افرايتم النار التي تورون انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون
نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين وقال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
وقال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار
امر الله تعالى بالتفكر في خلق السموات والارض وذلك كان بعد الاحاطة بعلوم لا تنحصر فمن جملتها علم
ذلك قال الغزالي رحمه الله ومن تامل في خلق السموات والارض ليعرف الله تعالى قائما دائما وجودا حيا

قيل كيف يفي بما يريد وبما يرضاه الا يريد قلنا الامر غير الارادة وذلك اذا ضرب السيد عبده ضاربة السلطان
عليه فاعتذر بمقرر عبده عليه فكذبه السلطان واراد اظهار حجته بان يامر عبده بفعل وخالفه
بين يديه فقال له اسرع هذه الزلة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن
آمرا لكان عذره عند السلطان مهدارا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا هلاك نفسه وهو محال
الاصل الرابع ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن للخلق
والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما في من مصلحة العباد وهو باطل اذ هو آمر
والآمر الناهي وكيف يتهدف للعتاب او يتعرض للذم وخطابه والمراد بالواجب اسقاط العقل
الذي في تركه ضررا ما آجلا كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضررا عاجلا كما يقال يجب على العطشان
ان يشرب الماء حتى لا يموت واما ان يراد به الذي يحسن ان يذم تاركه في الحال كما يقال وجود العالم واجب وكما
يرى في الحال وهو ان يصير العالم بحيث لو فعل لحسن ان الخالق يجب عليه بهذا المعنى الا ان يعتقد ان
الشرار وان اراد بالمعنى الثاني فهو مسلم اذ يصدق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا
فهو غير مفهوم وقولهم يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يشرب تركه مصلحة العباد لم يكن للوجوب
في حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان خلقهم في الجنة فانا ان خلقهم في دار البلايا وعرضهم للخطا
ثم لم يفهم خطاهم العقاب وهو الغرض والحساب فانه ذلك غير خطأ عند ذوي الالباب الاصل
الخامس انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ويدل عليه ذلك لان
سؤال دفعه وقد سأل ذلك فقال ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه بان ابا لهب
لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه
لا يصدقه وهل هذا الا تكليف بوجوده الاصل السادس ان الله تعالى ايلام الخلق وتعذيبهم
من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعد تصرفه
في ملكه ظلما والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير حال اذن فانه لا يصادف لغير الله حتى
يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهائم ايلام لها وما نصب عليها من انواع
العذاب من جهة الآدميين لم يشهد بها جريمة فان قيل فان الله يحشرها ويعاقبها على قدر ما
نالها من الآلام فيجب ذلك على الله فيقال لمن زعم انه يجب على الله شيء كل ملة وطبيعة وكل جنة
حركت حتى تنبهها على الآلام فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر كونه
واجبا عليه ان كان المراد به انه يضر بتركه فهو محال وان اريد به غير ذلك فقد سبق انه غير مفهوم او خرج

ت هذه الصفة في المذكرة للواجب انه يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح
بعباده لما ذكرنا من انه لا يجب عليه شيء بل لا يمتنع في حقه الوجوب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
فيثبت بهذا ما ذهب اليه المعتزلة في قولهم ان رعاية الاصلح واجب عليه من سيئله يرضى عليه ومن
رض مناضل في الآخرة بين حتى ان مسلما يدخل بالغ مات مسلما غاية الامر يدخل درجات الجنة والصبي
في الجنة لانه مات بلا ما من الطاعة بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلة فانا نقول الصبي بارتفاع
تكليفه على منزل لا يبلغ ولا يجتهد فيه الطاعة فيموت الصبي مات ميتا في الصبي فكان يجب ان يدخل
مين يبلغ حتى يبلغ فاجتهد فيه فعلمت من الصبي بالفضل عليه بتطويل العمر وفي علم منه
ه لا في علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبا هذا هذا المعتزلي عن
يقول هذا يا رب الكفار من دركات على ويقولون لما علمت انا لو بلغنا اشركنا فلا اسأل في الصبا
انا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فماذا في عقاب من ذلك ويقال يجب عن هذا الا فضل بان الامر
الالهية متعالي بحكم الجلال عن ان يدرك بميزان اصل الاعتزال فان قيل ما قدر على رعاية صلاح العباد
م سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك فيها الليق بالحكمة فان حسن الشيء ما الايراق المدح على فا
ان الشيء قبيحا عند شخص حسنا عنده بمن لم يراق به من لعنه ما ومذما الآخر حتى يستحق على الفعل
يا ذم ويستحسنه اعداؤه فات اربيا القبيح ما الايراق به من الباري تعالى اذ لا يراق له فلا يتصور
نه قبيح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يكنه التصرف في ملك الغير واذا اريد بالقبيح ما الايراق به من الغير
لم نسلم ان ذلك محال وعلى هذا الا يجوز ان يثبت شيء بخلافه ما ذهبنا من مذهب اهل السنة
م الحكيم معناه العالم بحقايق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا لا يوجب
يجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا فانما يراعي الاصلح نظرا لنفسه لتستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة
وابا او دفع عن نفسه بتركها ما يضره وذلك كله على الله تعالى محال الفصل الثاني من اثبات
قدرة الصانع واجب بالعقل وهو محال لانا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل انما يوجب الطاعة فلا
قول انا ان يوجبها لغرض وهو محال لانا العقل لا يوجب العبث وانما ان يوجبها لذاتها وهو ايضا
ذلك لانعلم انا ان يرجع الى الحسن وذلك محال لانه يستدعي عن الاغراض والفوايد بل الكفر والايمان
والطاعة والمعصية ان في حقه تعالى سيان وانما ان يرجع الى عرض الحسن وهو محال لانه لا عرض
ه في الحال بل يجب به ويتصرف عن النقوات فيجب ويسمى بالمآل الا المآل اب ومن اين يعلم ان
ه وجل يثيب على الطاعة ولا يعاقب عليها مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان ان الدليل

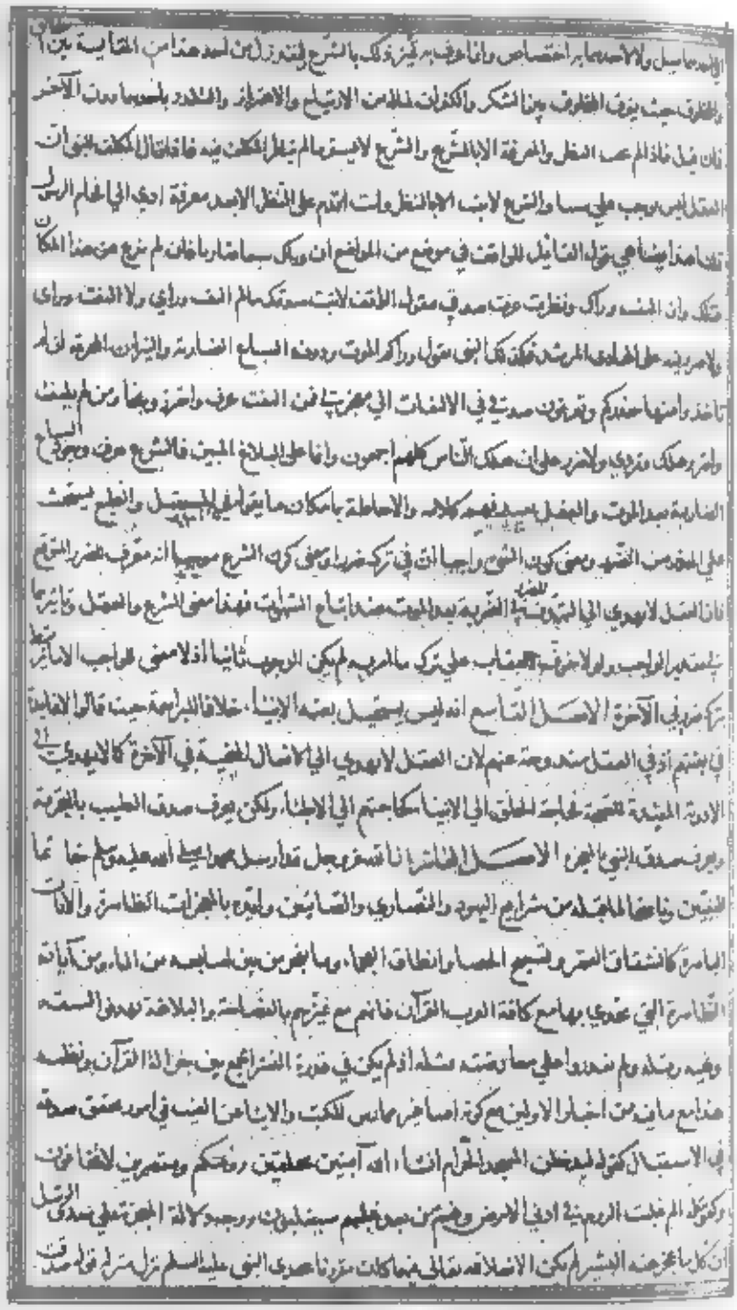

وذلك مثل اقدام بن عبد الملك الذي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه يقال للملك ان لك ما دمت
تحتم على سريرك حتى يقعد على خلاف عادتك فعند ذلك تعلم الملك انه علم ضروري بان ذلك
محال لم يلزم من تجويز صدق الركن الرابع المعجزات وتصديق النبي عليه السلم بما اخبر عنه
وعدد ما يدور على عشرة اصول الاصل الاول الحشر والنشر وقد دل عليه الشرع وهو حق والتصديق به واجب
لانه في المعقول ممكن وعند الاعادة بعد الافناء وذلك متقدر به سبحانه وتعالى كما تقدر الانشاء قال الله
عز وجل من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال
تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثاني فهي ممكن كالابتداء الاول الاصل
الثاني في سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وهو ايضا واجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس فيه الا اعادة
الحياة الى جزء من الاجزاء الذي يفهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يمنع ذلك ما نشاهده من سكون
اعضاء الميت وعدم سماعه للسؤال فان النائم ساكن عن جميع حواسه ويدرك من باطن من الآلام واللذات
ما يخص بالرؤيا عند النبه وقد كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جبرئيل عليه السلم وغيره
من حيث لا يسمعه ولا يراه فلا يحيطون بقي من علم الابتلاء فاذا لم يخلق لهم السمع والادراك
الركن الخامس عذاب القبر وهو ايضا مما ورد الشرع به وقال تعالى النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقد اشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن الصحابة الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق
به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالام العذاب من الحيوان اجزاء
مخصوصة ستعيدها الله عز وجل على اعادة ادرك اليها الاصل الرابع الميزان قال الله تعالى
ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه ووجهان لاهل الحق تكلمت في نهاية
الاحوال وزنا بحسب درجات الاحوال عند الله فيصير مقادير اعمال العباد معلوما للعباد حتى يعلم كل احد
بما في الصحائف استحقاقه بالفضل وبمضيقة الثواب الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود على
متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقولهم انهم سيرون
وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير الطير بالهواء قادر على ان يسير الانسان على
الصراط الاصل السادس ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله عز وجل وسارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين وقوله احدت دليل على انها مخلوقة فيجب الجزم
على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يمنع الافناء في خلقها قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يفعل عبثا بل لحكمة

بين الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان
ووجه استثناء المختلف فيه وفيه مسايل ثلاث حسبما اختلفوا فيه ان الاسلام هو
الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل عنه او هو مرتبط به ملازم فقيل انهما بمعنى واحد
وقيل انهما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما شيئان وكان يرتبط احدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي
في هذا كلاما شديدا الاضطراب كثير التطويل فلهم عن الخروج بالحق من غير ترجيح على منوال الاصل
لم يتيسر لنا هذا قلت سياتي عن موجب اللفظين في اللغة ومحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع
وعن حكمهما في القضاء والآخر هو المحث الاول للوجب والثاني تفسيري والثالث تحقيقي شرعي المحث
الاول في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي
بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك الترفع والاباء والعناد
والتصديق فعل خاص وهو القلب واللسان مترجمان عنه والتسليم قد يعلم في القلب واللسان والجوارح
فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة بالاتيان
بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان جزء من اشعب اجزاء الاسلام
فان كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا المحث الثاني في اطلاق الشرع والحق فيه ان
الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والمغايرة وورد على سبيل الائتلاف وورد على سبيل
التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين ولم يكن ما الا فاق الا بيت واحدة وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين
وقال عليه السلام بني الاسلام على خمس وسيأتي مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الائتلاف
فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فمعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان
ههنا تصديق القلب فخاطبهم بالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل عليه السلام
لما سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملايكته وكتبه واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب
وبالقدر خيره وشره فقال ما الاسلام فذكر الخصال الخمس غير الاسلام عن تسليم الظاهر بها الدال على العمل
وفي حديث سعد انه عليه السلام اعطاه رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت
فلانا ولم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد ويسر الله صلى الله عليه وسلم بين المؤمن والمسلم
يحتمل ان يكون المراد به الاستسلام الظاهر ويحتمل انه ليس من خصوص المؤمنين ولا الخاص لهم
وانما خفي مقامه عليه كذلك تلقاه بعض الثقات وروي ايضا ان جبريل عليه السلام قال له

وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره الدرجة الثالثة ان وجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان
دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان لا يتم دونه واليه ذهب الاشعري
فيه واستدل بالاية وبشر مضمون ورده كثير من اهل العلم الذين اثبتوا وجود الصالحات ان هذا يدل على
ان العمل جزء الايمان لان نفس الايمان لا يكون العمل فيه في حكم المعاد والجزء انما يدعى الايمان فهذا
وجميع ذلك سنقيم عليه البرهان لكن لا احد الا ويكره ما ذكره ويذكر على المعتزلة قولهم بالخلود في النار
بسبب الكبائر والدليل على هذا قاتل معين من مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه
ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد ان يقال نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فهو ومن
لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلوة واحدة فتركها ثم مات اذ في ثم مات فهل يخلد في النار فان قال
نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده
ولا في استحقاق الجنة بدوان قال اردت به ان عاش مدة طويلة على ترك الصلوة ولم يقدم على شيء من الاعمال
الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكبائر التي بفعلها
يبطل الايمان وهذا لا يمكن الحكم بتحديده ولم يصر اليه سابر اصلا الدرجة الرابعة ان يصدق
بالقلب فيقال ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال مات فهل يقال بهات من مناجاته وبين الله
فهذا ما اختلف فيه ومن شرط الفي لبقاء الايمان يقولوا هذه مات قبل الايمان وهو فاسد وقال اهل
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد وقد
شرط في حديث سيرتيل الايمان الا الشهد بها بلد ورسالة وكتبه واليوم الآخر كما سبق الدرجة الخامسة
ان يصدق بالقلب ويعلم ما مر من الصرهلة النطق بكلمة الشهادة ويعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها
فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة وقد قال هو مؤمن غير مخلد في النار
والايمان هو التصديق المحض باللسان وبيان الايمان فلا بد وان يكون الايمان موجودا بها مع
قبل اللسان حتى يترجه اللسان وهذا لعلم لانه لا يستند الاتباع ويجب الاتباع ويجب الانقياد
ويضع اللسان اذ الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة ولا يعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا يعدم بالسكوت عن
العمل الواجب وقد قال بعض اصحابنا ان العمل ليس كلمة الشهادة انما هو عن القلب بل هي اخبار عند
واستدل بشهادة جبرائيل عليه السلام على ما علم وقد غلا طائفة من المرجئة فقال لا يدخل النار
اصلا وقالوا لو ان المؤمن وان يعص فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم الدرجة السادسة ان يقول

فاما اهل الصلاة التي قارنها حتى بعض القلب كله وان النفاق ليبدو نكته سوداء فاذا اتسع الخبث
نبي وازداد حتى يستولي القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم ثم لا الايمان على قلوبهم آية الاطلاق
الثاني ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن
حين يزني واذا ادخل العمل في مسمى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهذا وجه ذكره في زيادة الايمان
الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه على قول من يقول الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق
المبني على سبل الكشف وانشراح الصدر والشاهد بنور البصيرة وهذا هو الاصلح من قبل الزيادة والنقص
اذ قد لا امر الذي لا شك فيه يختلف طمأنينة النفس اليه فليس طمأنينة النفس الى ان الاثنين اكثر من
واحد كطمأنينتها الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات يختلف في درجة
الايضاح ودرجات طمأنينة النفس اليها وقد ذكرنا هذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات
علماء الآخرة فالطمأنينة الى الاعادة وقد علم بنا جميع الاطلاقات ان ما قال من زيادة الايمان ونقصانه
حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في خردلة
مثقال دينار فاي المعنى لاختلاف مقادير ان كان ما في القلب لا يتفاوت مسئلة فان قلت
فما وجه قول السلف انا مؤمنون ان شاء الله والاستثناء لشك وان شك في الايمان كفر وقد كانوا يكرهون عشيرتهم
عن عزم الجواب بالايمان ويحذرون منه فقال سفيان الثوري من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكذابين
قال انا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن بما في نفسه وعن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا
عند الله فكان من كان عارفا ان شخصا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا وعن شيء
سيما اذا سر به الله تعالى فما معنى الاستثناء هذا ما حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله وانما قال سفيان
قيل له فما ذري يقول قال يقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ادري لعله من اهل النار واي معنى ان يقول انا مؤمن
وقيل لحسن البصري انت مؤمن قال ان امنني يا باسعيد بما امنت به الانبياء فقال انا في العلم فقيل
الله كذبت بالمستثنى فيمن على الخاتمة وكان يقول ما ارى بحق ان يكون الله بجلاله يطلع على شيء من سرائر عبده فيثني
وقال اذهب الى بيت لك حالكا الى شيء غير عمل وقال ابراهيم بن ادهم اذا قيل لك ما مؤمن انت فقل لا كما
الا الله وقال عمر قل انا لا اشك في الايمان ترى لك ايمانا بعد وقيل لمطرف امؤمن انت فقال ارجو
انشاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه
الاستثناءات فاعلم ان هذا الاستثناء يحتمل وجوها اربعة اوجه وجهان مستندان الى شك لا ينبغي اصلا لا
كان في خاتمة الامر كما لا وجهان لا يستندان الى الشك الوجه الاول الذي لا يستند الى الشك الاصل ان

الهم خيفة مافيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم وقال الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون
على الله الكذب جميل الحكم ما الصدق القبيح فقال شاء الانسان على نفسه ولا يبان من اعلى صفات الحمد والجزم
تزكية مطلقا وصيغة الاستثناء كانها تدل من حيث التزكية كما يقال للانسان انت طيب او نقي او مطهر
فيقول نعم انشاء الله لانه مرض الشيخ ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه والصيغة صيغة الترديد والتضعيف
لفظ الجزم ومعناه التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف نفسه لم يحسن
الاستثناء الوجه الثاني التاديب بتذكير الله عز وجل في كل حال واحالة الامر كلها الى مشيته لعلمه الى فقد
اوتيه بعباده وتعالى بيده مقاليد الامور فمن اراد شيئا فليقل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يتصور على ذلك فيما لا يشك
فيه بل يقال لمن يجد الجزم ان شاء الله آمنين محلقين وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانما شاء ولكن الحصر
تاديب ذلك تاديب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كالموت او مشكوكا حتى قال لما دخل
المقابر السلام عليكم اهل الديار مؤمنين وانا انشاء الله بكم لاحقون والفرق بينهما غير مشكوك فيه ولكن متعلق الاول
وكون الله رابطا لا تردد وهذه الصيغة الاصلية حتى صار يعرف الاستقبال عبارة عن اظهار الرغبة والشوق فاذا قيل
لك ان قال انا ميت سريعا فقل له ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا شكك واذا قيل لك انت سيزول مرضه وبصح فقل
ان شاء الله يعني الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى الشك كما في معنى الرغبة فكذلك الاصل الذي ينبغي
التاديب بتذكره لكن ما كانا لامر الوجه الثالث الشك ومستندة الشك ومعناه انا نعلم قطعا ان شاء الله
او قال الله عز وجل لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين فانكم تعلمون قطعا ان
الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجه حتى احدنا
من حيث ان الخوف يزيد كمال الايمان وهو خوف لا يفتق البراءة منه وان الذي انه يكمل باعمال الطاعات والمجاهدة
ويزيد على الكمال اما الله تعالى الذين آمنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله اولئك هم الصادقون فكيف يكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر فشرط
عشرين وصفا كلها ترجع الى الصدق والصبر على الشدائد ثم قال لولئك الذين صدقوا وقال في وصف الله الذين آمنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقال هم درجات
عند الله وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا او نيفا والهجرة
الاتيان من الطريق فهذه امارات على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك
الخفي فقد قال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري

الاخبار والآثار فيرفع عنه اسم النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر يسأل حذيفة
عن نفسه وانه هذا ذكر في المنافقين قال ابو سليمان الداراني ربما سمحت من بعض الاوقات شيئا فاردت ان اكفر ثم
يسلي وما اخاف من الموت وكم سمعت ان عمر رض لقي الترمذي الحكيم عند ضريح رسول الله فكشف وهذا من النفاق وهذا
النفاق ضد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وهو نفاق لا اصلي فالنفاق مفارقات لما وصف به المخرج من الفريق ومطلق
بالكافر وقد يكون في زمرة المخلدين في النار وقد يكون في المتابين في معنى اهل النار الى مدة او ينقص من درجات فريق
رتبة المقتصدين وهكذا مشكوك فيه وكذلك حسن الاستثناء فيه واصل هذا النفاق نفاق الشرك والعلانية والامن من
مكر الله والجهل وامن آخر لا يخلو منها الا الصديقون الوجه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من جهة انه
قد لا يدري السليم الايمان عند الموت لم لا فان حتم له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الآخر
وروي في الصائم ضيع النهار عن حسنه سئل ان الصائم قد فعل بعدة فكيف بحسن كذا به اذ كانت الصوم موقوفا
على الدوام الى غروب شمس النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام الفضيلة للايمان وصفته
بالفضيلة قبل آخر جزء منه على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والغالب حقيقته ولاجله ايمان اكثر الكاملين لا يحل
لهم الفضيلة السابقة والحسنة الباقية الى لا يظهر الا بظهور المتنوع ولا يطلع عليه احد من البشر فخوف
الخوف السابقة وربما يخترم في الحال ما سبق الحكمة نقضه فمن الذي يدري ان من الموفق بسعادتهم من الخاتمة
ان الامر يحل فيها والسابقة مستورة ولا يدري احدكم بم يختم ويقال بينا قوم في جنات مسكرة الموت بالحق اي
بالسابقة بعين الخاتمة وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما
احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه وفي الامن الذهب خفية يخشى منها سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هو عقوبة وفي
الاثر ولكن اخافا الذنب وقال بعض العارفين لو وضعت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الجنة لخفت
الموت عند باب الجنة لان الدار دار امن فمن اين لي من الخبر عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم اربعون سنة
خير من ساعة ثم حال بين وبين مسارته وانما لم يحكم ايمانه على التوحيد وفي الحديث ان قال انا مؤمن فهو كافر ومن
قال انا عالم فهو جاهل وقيل معنى قوله وقت كلامك سقط عنك صدقة الحق على الايمان وهذا لان من اتى على الشرك وقال الله
عز وجل وهو عالم الغيب فيما كان الشك بعد المنية كان الاستثناء واجبا لان الايمان حياة خاتمة والخاتمة كالصوم
صار غائبا في الذرة بيانه ما قد قبل للشهيد لا يرى الذرة فيخرج من كونه صوما فكذلك الايمان بانقدح ان يسأل عن
الصوم الماضي الذي الشك فيه بعد الفراغ فيقال امسك عن الاكل امس غروب الشمس انما اراد اذا الصوم لم يتحقق هو اصل الى الليل
لا يطلع عليه فكذلك هذا اصل الاستثناء في صوم اهل البر ويكون ذلك شكا في اصل الذي يمنع من القبول وهو حالة خاتمة
الصوم اما بغير حتى لا يطلع عليها الا رب الارباب فحسن الشك فيه فهذا وجه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان وبقي

كتاب أسرار الطهارة وما يتعلق بها

وهو الكتاب الثالث من إحياء علوم الدين من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي طهر عباده المتعبدين بالنظافة وأخذ على قلوبهم تركية سرائرهم إذ لا تطهر القلوب والنظافة وأعمال الجوارح لا تطهر إلا الماء المخصوص بالرقة والنظافة والصلوة على محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم كما عمه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلوة تحسن بكاتها دوائم النظافة وتنتصب جنة حصينة بين كل آفة أما بعد فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفاتيح الصلوة الطهور وقال الصلوة في ثوب تطهر بإذن خير من صلوة في ثوب متنجس وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الإيمان وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فمقصود ذوي البصائر بهذه الطهارات أهم الأمور تطهير السرائر وبعد أن يكون المراد بقوله الطهور نصف الإيمان جانب الظاهر بإضافته بإضافة المعاني وتعريف الباطن وإيضاحها مشعرا بالنهايات والانقطاعيات جهات والطهارة بإزائها مراتب الأولى تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث والنجاسات والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل المشؤمة والرابعة تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الأنبياء والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف للتي فوقها فإن النهاية القصوى في هذا المقام أن يكشف له جلال الله حتى لا يشاهد في الوجود إلا الله بل الحقيقة في الشرائع تحمل ما سوى الله وذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لا يتخوضون في ظلمات وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وأما أهل القلب والنهاية القصوى عبارة عن الأخلاق المحمودة والعقائد المتبعة وأن يتصف بها ما لم يتخلق من نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة فطهارة باسم الشطر الذي هو الشطر الأول الذي هو مفتاح الشطر الثاني فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح من الخبائث شطر وعبارة عن الطاعات الشطر الثاني من مقامات الإيمان وكل مقام طبقة وأن ينال العبد الطبقة العالية الآن جاوز الطبقة السافلة فلا يصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعبارة عن الخوض فيها ثم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعبارة بالخوض وأن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعبارة بالمعاصي وكل ما أخر المطلوب فهو أعز فصعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا يظن أن هذا الأمر يدرك بالتمني وينال بالهوينا ثم من عرف بصيرته عن تمادي هذه الطبيعات لم يفهم من مراتب الطهارات إلا

الأخير

في معاشهم ونظامهم من المحظورات او المنكرات فانه المعاش فان اطلق القول فيه من غير تفصيل ادى
الى هذا التكلف والتعنت باعداد الاواني والآلات واستعمال خلاف القدم والاثار المستمع به لدفع
الضرر وغير ذلك من هذه الاسباب ان يقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وتدخل
بها المعوان وباب تعلمها افادة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه مباحا في نفسه فلا يخفى اذ ما
متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما صيرورته منكرا فان
يعمل ذلك اسما للتغيير قوله صلى الله عليه وسلم في الدين على النظافة حتى ينكره على من يباعد
به فاعلم الاولى وان يكون التقييد بتزيين الظاهر للناس وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحذور
فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه التقرب الى الله وان لا ينكر
على من تركه ذلك والذي خرجه بسببه الصلوة من اوايل الاوقات ولا يشتغل به عن اهل هو افضل منه
او من تربية علم او غيره فاذا لم يترتب به شيء من ذلك فهو مباح يمكن ان يصل به الى قربة بالنية ولكن لا يتيسر
ذلك الا للفطانين الذين لهم فيتفاوتون بحسب الاوقات اليه لانتفاعهم يوم الجمعة [illegible] يعني فيصير
شغلهم به اولى لان الاشتغال بالعطارات يعود ذكره وذكر العبادات فلا باس ان يخرج الى ذكر
الاسراف وما اهل العلم والعمل خليق بان يتعرف عن اعتقادهم فيه الامور الخاصة والزيادة على منكر
في حقهم وفي جميع العصر الذي هو فيه فاذا فرضنا ان يتعرف عن اعتقادهم فيه الامور الخاصة والزيادة على منكر
في حقهم وفي جميع العصر الذي هو فيه فاذا فرضنا ان يتعرف عن اعتقادهم فيه الامور الخاصة والزيادة على منكر
فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلا ينبغي للعطار ان يترك النظافة وينكر على المتنعمة وينعلم بتنعمه
بالنعمة اذا تشبه بهم في ان لا تفرح لذلك ما عرض منكا فيدل لزوم الطاقي لا تفرح بالسبك
قال الله تعالى ذلك فرح فلهذه الاوامر العالم والعاملات جميع وقت في فضل الثياب احترازا عن ان
يتصور الثياب المصنوع وتوهما بالقصار وتصيرا في النسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في
الثوب الجديد فتارة من الالوف بين الجديدة والمتصرة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يعتنون بالنجاسة
اذا شاهدوها ولا يدفعون نظرهم الى استنباط الاحتمالات المدققة بل كانوا يتأملون بل فعايي الرأي
والظلم حتى قال سفيان الثوري رضي الله عنه لو كان يعني محمد ينظر الى باب الرمرج يعني لا يتأمل ذلك
فان الناس لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف على ان اخذ الله معين لهم على الاسراف
كما ذكرت يعلم الفقه لاستنباط مثل هذه الدقايق لانه احتمال النجاسات وتوهم الضياع
ما ينبغي ان يتعاطى لمثل هذا الثياب حصاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى الناس على خبر ذلك العالم
ينتظم بتعاطيه الا يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل صالح في نفسه فيتمكن عليه المعاصي في تلك الحال

والنسيان لم تشتغل بشغل سلبيا فاذا تصدى التقرب الى الصانع سارد لك عندي من افضل القربات
وقت الصائم المشرف ان يصرفها الى صلاة فيتفرغ عليه بالشرف وقت الصلوات ان يشتغل بعمل فيتوزع الخير
في الجواب ولتقطن وهذه المثالي لمقدار من الاشياء وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض
الصواب في حفظ الخطاب الخير فيصرفها الى الافضل فالافضل من المتعلقات بالى اموال الصيام عند فيرها واذا عرفت
هذه المقدمة فاستبان الطهارة لها اربعة مراتب واعلم انا في هذا الكتاب لنا شكام الاية المريضة الرا
وجب خلاف الظاهر لانا في المشطل الاول من الكتاب لاشرض قصدا الا لتظاهر فنقول طهارة الظاهر تنقسم
الى طهارة من الخبث وطهارة من الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي يحصل بها التمام والا
واستعمال القوة والمقتات وفير المقسم الاول في طهارة الخبث والتكلم فيه يتعلق بالمزال والمزا
به والازالة اما الطرف الاول في المزال وهي النجاسات والاعيان فنقول جمادات بحيوانات واجزاء
الحيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل المسكر والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير
وما يتولد منهما او من احدهما فاذا مات نكلها بخمسة الآدمي والسمك والجراد والذباب والثعابين
سواء كل ما يحصل فيه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والبعوض وغيرها والاصل فيما
يرجع شيء فيه منها واما اجزاء الحيوانات فنقسمها ما يقطع منه وهو حكمه حكم الميتة والشعر لا يتنجس بالموت
والعظم يتنجس الا في الرطوبات النجاسة من باطنه فكل ما ليس بعصب ولا اثار عروق طاهر كالظفر
والقرن والعظم والحافر وما لا مقر وهو مستحيل فنجس الا ما خص بادلة الحيوان كالمني واللبن والبيض
والدم والروث والبول نجس من سائر الحيوانات والمخرج من شيء من هذه النجاسات عليها وكيفيتها
الامر خمسة الاول اثر الجرم بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه تمام تعدى المخرج والثاني على الشاذ
وغبار الروث في الطرق يعفى عنه مع يقين النجاسة بتعذر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا يتميز
المتطاير به الى ثوب او بدن والثالث ما يبقى في محل الحقنة من نجاسة لاعضاء الطرق عنها
يعفى عنه بعد الدلك لنجاسة الرابع دم البراغيث ما قل منه او كثر الا اذا ما تفاحش بحد المعادة سواء كان
في ثوب غيره فلبسه نجاسة الخامس دم القراد وما يعضه منها من بيض ومدة ذلك في
بثرة على جسده وخرج منه الدم وسيلان ولم يغسل وفي معناه الطفيليات التي تدم قليلا
وكذا اثر الفصد والحجامة اذا جمع ناد والمخرج اوفيره فعفو بدم الاستحاضة والاكوان في معنى الثالث لا
الانسان عنها في اخلاقه ومساحة الشرع في عفو النجاسات فرقك ان امر الطهارات على التساهل
وما ابدع فيها من سهولة لاصولها الطرف الثاني في المزاليه وهو اما جامد واما مايع فالجامد

ان جزء الترابي به وان كان قليلا واجزاء من الجاري والراكد وليت شعري الحرارة تعلي جرم الصغير اكثر
قوة الماء بسبب الجريان ثم ملاحظة كلما اقوة اجرى في الماء الجارية في اثناء الجامات ام لا فانا نعرض
الزئبق وان جرى فانا الزئبق بين سايع منها وبين سايع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية
ثم ليس واضحا لنا طبا الماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذا علق بانه ما يجري عليها وان لم يتعرض
الى ان يجمع في مستنع على ان اواني فرق بين الجامع والمانع والماء واحد والاختلاط اشد من الجاري الساكن
ان اذا وقع بطلان من البول في حوض فرقنا فكل كر يفرض منه طاهر ومعلوم ان البول ينتشر فيه على
قليل غليت شعري قليل طهارة بعدم التغير على ان جزء كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وذوالجامع يحقق
نجاسة البئر بالجامة فيها السابع ان الجامات لم تزل في الاعصار الخالية توضع فيها الحشوش تقضي
الاواني والاواني في حكم الجاري مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والقاطرة كانت تمر
عليه فهذا كالامور مع المخالفة الشديدة متوغلة في النفس ثم كانوا يتطهرون الى عدم التغير مع ان على قوله
صلوا عليه يتيمم خلو الماء طهورا لا نجسه شئ الا ما غير طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان جميع كل
سايع ان تغلب الى صفة نفسه كما يجمع عندكان يغلب بامر جوهره فكاري الكلب يقع في الخل يسيل
على ما يحكم بطهارته فصيرورته خلا وزال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء والبول يقع فيه
هو قليل فيطل صفته ويتصف بصفة الماء وهو طبع بطبعه الا اذا كثر وغلب وهو في غلبة ظنه
طهوريته او يجعله فيها الجمهور وقد اشار الشرع اليه في الماء القرب على ازالة النجاسة حيث جاز
ان يراق عليه فيذهب به الخبث فيظهر مع كونه طهورا الذي يغلب غير فيظهر كاصاركذلك فيما بعد الغلبة
وفي الفسالة وتبقى الماء الجاري وفي اعضاء الانا الطهرة لا يظن ان ذلك هو اذ كانت كذلك لكان
كاثر الاشياء وهو الراجح سوى تغير الماء للملاقاة لجسم لا يفني بالفسالة ولا بوارد المتنوع في الماء
القليل وانما قلنا لا يحل لجنابة في ضمنه بجسم فانه يحل اذا غير فانه يقبل الماء به اذا لم يتغير ضعف ان
يتعالى الماء به اذ في الغالب لا تغير بالنجاسات المتعادة وهو ضعف بالمنوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك
المنوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحل لجنابة طاهر وفي المحل اي منقله الى صفة نفسه
كما قال المحلة لا يحل كلبا ولا غير اي ينقلب الى صفته وذلك لان الناس كانوا يستنجون في المياه القليلة
في الفدوان ويغسلون الاواني النجسة فيها ثم يتردد ورد في انها اصيرت غير ما لم يلاقيها انا اذا قلنا
قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فان قلت قد قال لا يحل لجنابة طاهر وهذا اشد مما ذكرت حملها وهذا اشد مما ذكرت
قلت انما ذكرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المتعادة على المذهبين

عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم عهد الى من يزل الماء وقد كان اغتنم استبراء
امته فزل الوسوسة فيه على قدر الفته وفي حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى
الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغائط او بول وقال بعض العلماء
من الآداب وقد خامسه لا احسبه يحسن الجواب فقال بلى واسكب الماء صبا خامسة الا ان واحدة
واستقبل الشيح واستدبر الريح واتق قبلة الخلي واجتنب اجنا الغمام المسح بيده اليسرى اذا
يكون بالبادية والاصابع عند ان تسوغ على صدور قدوره والاجتناب اذ يمنع بعض من الرخصة ان يدلك
الانسان قريبا من صاحبه مستراحه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه لتسن
كيفية الاستجمار ثم تستبقي الحجر بثلثه احجار فاذا انقى كفانا والا استعمل رابعه فان انقى والا
خامسه لان الايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر وباشرها الجزء بيساره ويضعها على المخرج
كذلك ويمرها الى المقدمة وتأخذ الثالثة مدبرها لمحل المسرة ادارة وان عمت الاماءة ومسح المذكر
او المؤخر اجزاءه ثم يأخذ حجرا كبرا جمعه فالصب بيساره ومسح الحجر منصبه ويحرك اليسار فمسح
بالثانية ثلاث مواضع او في ثلاثة احجار وفي بلاية مواضع من جعل الى ان لا يبقى الا طرف فيمسح المسح
فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ويجب ذلك اذا زاد الانصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب
الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستبقي الماء بان يصبه باليمنى على محل
الغائط وبذلك اليسرى حتى لا يبقى اثر بيده الكف بجنس الماس ويتركه الاستعمال فيه بالمتوضأ الماء
فان ذلك منبع الوسواس ويعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفعلة
الباطنة ما لم يتزل وكل ما هو ظاهر يثبت له حكم النجاسة فحقه ظهور ان يصل الماء اليه فيزيله فلا
معنى للوسواس وان يقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي
من الفواحش وبذلك ورد بعاطا او بالاولى ازالة لريحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب
فقد روي انقوا ما تبول فان عامة عذاب القبر منه ويجب ان يتعاهد ما ذكر يجب المعاهدة من قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر ٥
سنن الوضوء ٥ اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطعها وبخاصة من الغائط الا توضأ ويستاك بالسواك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان افواهكم طرق
القرآن فطهروها بالسواك فينبغي ان يرى عند السواك تطهير فيه لقراءة الفاتحة وذكر الله في الصلوة
وقال صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر السواك افضل من خمس وسبعين بغير سواك وقال لولا ان اشق

على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة وقال ما لي اراكم تدخلون على فحا استاكي اي سفر الاسنا
وكان عليه السلم يستاك بالليل مرارا وعن ابن عباس انه قال لم يزل يامرنا بالسواك حتى ظننا
انه سينزل فيه شئ وقال عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب وقال علي ابن ابي طالب
السواك مزيدة في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجون والسواك
على آدابهم وكيفيته ان يستاك عرضا لا طولا فان اقتصر عرضا ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل وضوء وان نام يستاك عند
وعند قرب فكه بالفوم او غيره الا ان اراك ما يكن ولعصه ثم عند الفراغ من السواك يغسل الوضوء
ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم اي لا وضوء كاملا ويقول عند ذلك
اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك ربي ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما
الاناء ويقول اللهم اني اسئلك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم وكلكله ثم ينوي رفع الحدث
واستباحة الصلوة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه ثم نواها عند ذراعيه
لم يعتد بغسل وجهه ثلاثا ويفرغ بان يرد الماء الى الخلصة الا ان يكون صائما فيرد الى المضمضة
اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم عرفه لاذنه واستنشق ثلثا وصعد الماء بالنفس
الى خياشيمه واستنثر ما فيه ويقول في الاستنشاق اللهم اسرحني في رائحة الجنة وانت عني راض
وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روائح النار وبئس المستقر من سنن الاستنشاق ايصال
والاستنثار ان لا تتم فيعترف بوجهه فيغسله من مبتدا سطح الجبهة الى منتهى ما يتصل
من الذقن بالطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه الترعتان على جانبي الجبين
فهما من الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما ينحدر من شعر الرأس عند الصدغ
الذي يقع في جانبي الوجه مما يضع طرف الخنصر على راس الاذن والصدغ الشاني على راس الجبين
ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان واللحية والعذاران لانها
خفيفة في الغالب والعذاران مما يراني الاذن في مبدا الخفة ويجب ايصال الماء الى ما تحت
الخفيفة اعني ما يتصل من الوجه واما الكثيفة فلا يحكم لاصعته حكم البشرة في الكثافة
والخفة ثم يغسل فوق ذقنه ويتبع الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في فرجة
العينين ويرفع الرمص ويجمع الكحل وسنتها فقد روي انه عليه السلم فعل ذلك وتابل عند ذلك
خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عند اللهم بيض وجهي بنورك ولا تبيض

وجوه اوليائك والاسود وجوه اعدائك يوم تسود وجوه اعدائك وتحلل الحلية عند غسل الوجه
مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه بدأ بميامنه ويحرك الخاتم ويخلل الغمر ويرفع الماء الى اعالي العضد ثم
عشرين يوم الصيف غير المجدورين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام من استطاع ان تطول غرته
فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيمني وحاسبني
حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري
ثم يمسح رأسه بالمسح بان يمر يديه وامسح رؤس اصابع اليمنى باليسرى ويضعها على مقدم الرأس
ويمرها الى القفا ثم يردها الى الجبهة وهذا مسحه واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك
وانزل علي بركاتك واظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد
بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويديرابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذن اليسرى
ويكبر ثلثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة
مع الابرار ثم يمسح رقبته لقول عليه السلام مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ويقول اللهم فك
رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل اليد اليسرى
من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت
قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام بي الى النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط
يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى اصابعه السبابتين فاذا فرغ رفع رأسه الى السماء وقال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله
الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم
اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا
شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا قال ابن قال عند الوضوء ختم على وضوئه
بخاتم ورفع ويضع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويحمده ويقدسه وكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة
ويكره في الوضوء اسراف احدها ان يزيد على الثلث وان اسرف في الماء وتوضأ عليه السلام حتى قال
من زاد على ظلم واساء وقال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور وقال
من يقض على الرجل وليته بالماء في الطهور وقال ابراهيم بن ادهم لقمان اول ما يبدو السوء من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء فقال الوضاء ان يكره ان ينفض
اليدين الماء وان يتكلم في اثناء وضوئه وان يعلم وجهه بالماء الحار وكره قوم النفخ في الماء وقالوا

الوضوء وزعم عائشة سعيد بن المسيب والزهري ولكن روى معاذ انه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروى عائشة انه كان لا ينشفه ولكن يترك هذه الرواية عن عائشة ويكره ان يتوضأ من اناء سخن بالشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة كراهة الاناء من الصفر قال ابو ضم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضأ وعلل كراهيته ذلك عن ابن عمر بما فرغ من وضوئه واقبل على الصلوة سئل ان يخطر بباله انه طهر بماء مسروق ومن مطرح نظر الخلق ينبغي ان يستحي من مناجاة الله من غير طهر قلبه ومن مرتع نظر الرب فيضيق اذ طهارة القلب بالتوبة والتنزه عن الاخلاق الذميمة وان من اقتصر على طهارة الظاهر لمن اراد ان يدخل مكانا الى جنبه فترك مشمرا بالثياب واشتغل بتخضيخ ظاهر اثواب الغرائب من الدار وما البعد مثل هذا الرجل بالمعرض للنار واحمت فضيكة الوضوء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وقال ايضا الا ادلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره وانتظار الصلوة الى الصلوة واشتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة فقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين اتاه الله اجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي وضوء الانبياء قبلي ووضوء خليلي ابرهيم وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما اصاب الماء وقال عليه السلام من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وقال الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال اذا توضأ العبد المسلم فمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد ونافلة له وقد روي ان الطهارة كالصلاة وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من اينها شاء وقال علي رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرح عنك

الشيطان وقال الحامد من استطاع ان لا يبت الا طاهرا ذكرا مستغرا فليفعل فان الارواح تعتد
على ما تبيت عليه كيفية الغسل وهو ان يوضع الاناء عن يمينه ثم يسمي ويغسل يديه
ثلاثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما سبق
الا انه يؤخر غسل رجليه فان غسلهما ثم وضعهما في الاناء كان الماء قليلا ثم صب الماء على
شقه الايمن مرتين ثم على شقه الايسر مرتين ثم على رأسه ثلاثا ثم يفيض الماء بعد ذلك على سائر بدنه ويدلك
بدنه ويصل الماء الى منابت شعره بأن يخلل شعر رأسه ولحيته بأصابعه ويتعهد مغابن البدن وليحذر ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان
فعل فعليه الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنة الوضوء والغسل وكل
منهما لا يبطل بشيء من الاشياء الا بالحدث الا ما ذكرناه من المسائل يصلح اليها ما عداها من المسائل فليرجع
فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل ثلاث النية واستيعاب البدن
بالغسل فمن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما يطلق عليه الاسم
من الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب الطاهر الا ان غسل رجليه في الاغسال الواجبة
اربعة الغسل الخارج الحي والاغسال الخاصة بالميت بالغاسل وما عداها من الاغسال المسنونة
كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام ودخول مكة ودخول المدينة والايام الشريفة
والطواف الوداع على قول فهذا كله اذا لم يكن اذا اغتسل غير جنب من الجنون اذا افاق ولم يغتسل بعدها فكذلك
سبيل كيفية التيمم من تعذر عليه استعمال الماء بفقد او بمرض او عدم له عن الوصول
اليه بعد وهو احد اركان الماء الطاهر يحتاج اليه لعطشه او لعطش رفيقه او كان لكي الخبز
او لم يبع منه الا اكثر من قوته له اركان بيع او اجارة او رهن بمعاوضة مقابلة الفساد البعض الى مدة
الضنا حتى يجوز ان يصير حق يدخل عليه وقت الزينة ثم يتيمم ويصلي عليها عليه تراب طاهر غالب
لم يخلط بشيء من غير جنسه فيضرب عليه كيفية ضاما بين اصابعه ويجمع بها جميع وجهه مرة واحدة
ويزيل عند اصابة الصلاة ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعر بحيث اذا كثف عليه لم يتحقق
ان صب الماء يشرع وجهه بالغبار ويصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض له بعد ذلك ما يوجب
الكفارة كفاه الاستصحاب فالب الظن ثم يرفع يديه ويضرب ضربة ثانية فيرفع منها ما علق
ثم يلصق ظهور اصابع يده اليسرى بطون اصابع يده اليمنى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من اصابع
اليمنى عرض المسبحة من الاخرى ثم يرد اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق

لا سيما ولا عمل به فهذا لا يكون عبدا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثير لسماع الانكار واستماع
الاسرار عند السمر بالمعاصي وذكر من يرتكبها فيقبح الامر في عينه وتغير نفسه عنه فلا يجوز تركه ومثل هذا
سد الطريق تركه ومثل الحمام في هذه الاوقات اذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما عند السرة الى ما
فوقها فاذا كان الناس لا يجدون بدا من دخولها لحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحرم حتى لو دخل
خلية الحمام قال البتر تي لحارث ما اعف وجلا لا علك الا درهما ودفعه ليخلي له الحمام ورأيت عمر في الحمام
ورجهه الى الحائط وقد غضت عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن اذا دخل للعورة ولبس
لرأس ستر بيده عضوا عينيه غاية الستر فستر الاول عينيه وهو ان لا ينظر لعاجل ساقطها
لاجل عري بل يقصد به التطيف المجرد بترهيبا الصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما
يستوفيه مجهول وكذا ما يستوفيه الحمامي عند تسليم الاجرة رفع بالهالة من اسد العورتين وتطيب نفسه
ثم رفع جعله اليمنى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس والرجز الخبيث
الخبيث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يكتفي بخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام
الا الفعل الذين والمخاطبين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من خلة للنساء ويحتمل ان
للتأمل في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في اطراف الازار
فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولا يجلس حسب ان عرق يبدو منه يغسل بناحيته عند الدخول
ولا يجلس عند باب البيت المظلم حتى يعرف في الاول ولا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه
المأذون فيه بقدر نية الحاج والزيادة تعطي لوعلة الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار ولا يزينه ويتأدب
وان يتذكر حر النار وحرارة الحمام ويتذكر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويصبر الى جهنم فانه
اشبه بيت بجهنم النار من حره والظلام من فوقه فوقه باده منها بل الصادق لو تصل من ذكر
الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرها عبرة وموعظة
فان المرء مثل بحسب همته فاذا دخل مزلزر بقاره وبنائه وسايك هذا مصنوعة مقروضة فاذا انتقد بصره
رأى المزر وينظر الى المزرق شامل يمتهنها الحاك ينظر الى الثياب بتأمل فجها والجار الى السقف بتأمل كيفية
تركيبها والبنائه الى الحيطان تأمل كيفية احكامها واستقامتها وكذلك سائر الاطراف الآخرة لا يرى شيئا من ذلك
الا ما يكون له موعظة من الآخرة بل لا ينظر الى شيء الا وهو الله له طريق تعبر فان نظر الى سواد تذكر به
ظلمة القبر وان نظر الى حمة تذكر بها نار جهنم وان نظر الى سوءة فليتذكر سوءة يوم القيامة وان سمع
سوءا فليتذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة ردا وقبيحا في سوق او دار

من الذي يحصل المال له واستقل بتحصيله وانفرد بحمله والوارث هو الذي لم يحصل ولم يتعب عليه ولكن استقل اليه وابتداه منه بعد حصوله فانظر كيف تأمل هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة الى الاخبار والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا الانبياء ولا يستقل باستنباطها بعدهم بعد الانبياء عليهم السلام الا العلماء الذين هم ورثة الانبياء السادس والسابع زيادة الشعر وحلق الحشفة اما السرة فيقطع في اول الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة وعلى الجملة يحصل الفاصل الى ان شعر الرأس حسب وابعد من الخلل قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال مكرمة للنساء وسئل ابن عباس لا يتم في بعض المرأة قال صلى الله عليه وسلم لام عطية وكانت بعض امه اشفى ولا تشكى فانه اطيب للوجه واسطع عن الريح اي اكثر لماء الوجه وبريقه واحسن بياضا فانظر الى جزالة لفظه في الكلام وانزاله نور النبوة من مصلح الآخرة الى هو اهم مقاصد النبوة الى مصلح الدنيا حتى انكشف لك سر اي من هذا الامر انا نذكر ما ورد من الاخبار الفقه منه خفيف ضروري فمنها ان من ارسل رسولا فقال لحجام من بنيته مصلح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم الشارب من الحلمة فالحاجم لا يعلم بها في الحلمة من السنن والبدع اذ هذا الترتيب موضع يليق به وكيفما وقع استحق الثناء قال قتيبة ان قص الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وفي الاثر كما عافه لعب الله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والاولى في هذا ترتيب اذ لم يسنه الى تفصيل الحلمة وتدريجا من الجوانب فان العوالم المزخرفة مسنون الخلقة ومطلق اسم اللحية المتناول بالقبضة فلا باس بالاحتراز عنه على هذا اليه قال الغزنوي حبست رجلا قليل طويل اللحية كيف لا اخذ من لحيته فصلها بين لحيتين فان الوسط في كل شيء حسن وذلك قيل كاطال اللحية فنور العقل فصل وفي الطرة عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض وهي خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت وتنفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وترجيلها تشبها بالجمال الرياء وتركها سنة اظهار الزهد والنظر الى سوادها اعجابا بالشباب والى بياضها تكبرا على السن وخضابها بالحناء والصفرة من غير فيه تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد فمنهي عنه قال صلى الله عليه وسلم غيروا شيبكم ولا تشبهوا بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه شبابكم والمراد بالشيبة ما شيبكم في الوقار لا في بعض الناس ونهي من الخضاب بالسواد وقال هي خضاب اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر وكان خضب بالسواد فصل خضابه وقال شيبته

في بيت امرأة أبي عمرو فكاحه وراجعه ضربا وقال عيرت القوم بالشباب وابيت عليهم شيبك
وقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان
قوم مخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة الشائب الخضاب بالصفرة والحمرة جائز
لبيان الشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل لقصد باطل الدين فهو مذموم
فقد قال صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحنا
والحمرة بالمطوق واكثم الصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل الغزو وذلك لا بأس به اذا احتاج النية
ولم يكن فيه هوى وشهوة الثالث تبييضا بالكبرت استحبابا لاظهار على السن توصلا الى التوقير
وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيخ وترفعا على الشبان واظهار الكبرة العلم خلنا بان
كثرة الايام يعطيه فضلا وميهات فلا تذكر السن الجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي عزيزة لا تزال
الشيب فيها ومن كان عزيزة الجهل فطال المدى يزداد حماقة وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب
بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حدث السن على اكابر اصحابه ويسأله دونهم
وقال ابن عباس رأني الله تعالى بعد على الاشياخ بالحزم كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا اجعلنا
فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقوله انهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان ان يقال قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا اخا حزم وقد سن
فقال لم تشنه الله تعالى بالشيب ميلا وسخا وقال كلكم يكرهه وقال ان عيسى بن اكثم ولي القضا
وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال الرجل في مجلسه نريد ان نجعله فتصرسنه كم سن الفاضي ايده الله
فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاها فاحسنه
وروي عن مالك انه قال رأيت في بعض الكتب لا يغرنكم الفتى فان النيل لجية وقال ابو عمرو بن العلا
اذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس
قال ابو الحسن الخياباني ادركت الشيخ ان ثمانين سنة يتعلم الغلام فيتعلم منه وقال علي بن المديني من
يستحي ان يتعلم فتلك نهوا مامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لاسحاق بن العلاء احسن
من الشيخ ان يتعلم من الصغير قال ان كان الجهل ضع به فالتعلم حسن به وقال يحيى بن معين لاحمد
بن حنبل وقد رأى على خلف عنده الشافعي يا ابا عبد الله ترى مصيت سفيان وعلي وعلي خلف يغل
هذا الفتى ويسمع منه فقال احمد لو عرفت لكنت عني من الحاب الآخر ان علم سنين ان فاتك علم
او رتبة مرزول وان حمل هذا الشاب ان فاتك لم ادركه لا يعلو ولا يترك الرابع شف بالمنها اشكافا

من الشيبة وقد نهي عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد
الكراهة ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس شيء هو شيء بعضها
بحكم الحس والحدس وذلك مكروه وشعر اللحية وشعر العكنة ربما حسبا الصفته شهد
عمر بن عبد العزيز رجل كان سف سكبه فرد شهادته ورد عمر الخطاب رأس أبي أمية قاضي المدينة
شهادة من كان سف لحيته وأما سنها في أول النبات فيشبه المرد في المنكرات الكبائر فإن اللحية
زينة الرجال فقد ملائكة سبعين ألف ذنب زين بني آدم بالتي هي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال من
النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء وقال أصحاب الا
وددنا أن يشرك للحنفية ولي بعشرين الفا والشرع القاضي وددت أن لي لحية بعشرة آلاف
وكيف يكون اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه معنى العلم والوقار والترفع في المجالس وإقبال
الوجوه إليه والتقدم على الجماعة ووقايه العرض فإن من تسلم يعرض للحية إذا كان للمتسلم لحية
وقيل إن أهل الجنة مرد الا حرون الحامري صلى الله عليه فإن للحية إلى سرة عضيصا لا يفضلا
السادس تقصيصها كما سبق طاقة على طاقة التزيين والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان
أقوام يتصنعون لحاجهم كتصنع النساء ويرجون فاهم كما تفاخل الديك لا خلاق لهم السابع الزيادة
فيها وهو أن يزيد فيها شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحيين
إلى نصف الخد وذلك مما ينافي هيأة أهل الصلاح الثامن ترجيلها الجل الناس قال شريح
في اللحية سركان مرجلها الجل الناس وتركها مستحبة لاظهار الزهد التاسع والعاشر
النظر إلى سوادها وبياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق
والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكر من أنواع التزين وأقسامه وقد حصل
بثلثة أحاديث من سنن الجسد اثنى عشرة خصلة منها في الرأس فرق شعر الرأس والمضمضة
والاستنشاق والسواك وقص الشارب وغسله في اليد والرجل وهي الفم وغسل البراجم وحلق
الرواجب وأربعة في الجسد وهو شعر الإبط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت
الأخبار في ذلك وإذا كان فرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر
على هذا ولنحول فضيلات الباطن ورذائله التي هي أصعب التكليف منها الكبر سوف يجيء بيانه
تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله تعالى

هذا آخر كتاب الطهارة بحمد الله ومنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وهو الكتاب الرابع من احياء علوم الدين من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي فسح لعباده بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين وظائفه الذي تنزل عن عرش الجلال الى سماء الدنيا من درجات الرحمة لمن حولطفه فارق الملوك مع التنزه بالجلال والكبرياء ترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباب السلاطين مغلق الباب وبواب الحجاب فيحس العباد في المناجاة بالصلوات كيف ما تقلب بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تملطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالفتوح الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحان من اعظم شانه واقوى سلطانه وتم لطفه واعم احسانه والصلوة على محمد نبيه المصطفى ورسوله المجتبى وعلى آله واصحابه هداة الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام اليقين ورائد القربات ورئيس الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها مستوفين جملة الصناعة الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة ليكون خزانة للفقيه منها يستمد ومعولا للمفتي عليه يعرج ويحيد ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من لبابها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون عن حقايق معانيها المخبية في معاني الخشوع والاخلاص والنية مع الجرأة عادة بذكرها في فن الفقه ورتبنا الكتاب على سبعة ابواب الباب الاول في فضايل الصلوة الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلوة الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة منها الباب الرابع في الامامة والقدوة الباب الخامس في صلوة الجمعة واذابها الباب السادس في مسايل متفرقة تعم بها البلوى الباب السابع في التطوعات وما يجري مجريها

الباب الاول في فضايل الصلوة والجمع والجماعة والاذان وغيرها منها فضيلة الاذان قال صلى الله عليه وسلم للمؤذن يوم القيمة على كثب من مسك لا يعهد حساب ولا يناله هم فزع حتى يفزع ما بين الناس يعلق القرآن

إثنا عشر وجه الله وأم بالناس رجل يصلي بهم راضون ورجل أذن في مسجد ودعا إلى الله عز وجل إثنا عشر
الله وأم بالناس ورجل يسقي على الريق شربة الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم
لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم يا أرحم
على راس المؤذن حتى يفرغ من أذانه وقيل قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل
صالحا وقال الفقهاء المسلمين نزلت في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم النداء فقولوا مثل
ما يقول المؤذن وذلك مجزيا لأنه الجميع لكن خاص يقول في الأولى لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
الثانية كذلك وفي قوله عز وجل أقام الصلوة أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض وفي
الشروب يقول صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة
القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى
بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فإذا أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من
الملائكة فضيلة المكتوبة قال الله عز وجل إن الصلوة على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله
خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن
كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عهد عند الله إن شاء عذبه وإن
شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر بباب أحدكم
يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يرون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شيء قال فإن الصلوة
الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال أيضا إن الصلوة كفارات لما بينهن ما لم تؤت
الكبائر وقال عليه السلام بشر المنافقين بشهود الصلوة والصبح لا يستطيعونها وقال
من لقي الله عز وجل محافظا على جميع الصلوات لم يسأل الله شيئا من حسناته وقال الصلوة عماد الدين فمن
تركها فقد هدم الدين وسئل عليه السلام أي الأعمال أفضل فقال الصلوة لوقتها وقال من
حافظ على الصلوات الخمس بأكمالها ظهورها وأوقاتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها
حشر مع فرعون وقارون وهامان وقال مفتاح الجنة الصلوة وقال ما افترض الله عز وجل
على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم
راكع وساجد وقائم وقاعد وقال من ترك صلوة متعمدا فقد كفر بي كفارب أن يضع عن الإيمان
بالخلال عزيه وسقوطا عاد كما يقال لمن قارب البلدة أنه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم
من ترك صلوة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة من توضأ فأحسن

ومن ثم خرج علمدا الى الصلوة فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب له بالخطوة الواحدة
ويمحى عنه بالاخرى سيئة فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسعى فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم
يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطى وروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت
تامة كتبت له وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة
مر اهلك بالصلوة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل
النائم الذي لا عمل له الربح حتى يجاهد او راس المال وذلك المصلي لا يبطل له ناقلة حتى يؤدي
الفريضة وكان ابو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى نار كم التي اوقدتموها فاطفئوها
سئل امام الائمة كان قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوة المكتوبة كمثل النهر الذي على باب احدكم
يغتسل منه كل يوم خمس مرات وسئل الزهري كانت الصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها من ونوقة وقال
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليخرج من بيته ليتوضأ فاتي الصلوة وركوعها وسجودها واحدا فما زالا
صلوتها كما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل يوم
القيمة الى العبد لا يتم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم اما يخاف الذي يحول
وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال ايضا صلى الله عليه وسلم من صلى الصلوة
وتمها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها وجهت وهي بيضاء مسفرة تقول
حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها
رجعت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعتني ضيعك الله حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف
الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال عليه السلام اسوأ الناس سرقة من يسرق من صلوته
وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله تعالى
في المطففين فضيلة الجماعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الجماعة تفضل
صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم فقد اناسا في بعض الصلوة
فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم
فيحرقوا عليهم بحزم الحطب سوقهم وارعلم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة
العشاء وقال ابن عباس رضي الله عنه وروى مرفوعا من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد
الصبح فكانما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد صلى في عمر عباده وقال
سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال المجدين واسع ما اسمع

من الدنيا الا لثلثة اخلان تعوجت فرسي وقوما من الرزق عضوا غير تمه وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها
وكتبت في فضلها وروي ان ابا عبيدة بن الجراح اتم قوما فخرج فلما انصرف قال ما زال الشيطان في انفي
حتى ارت ان لي فضلا على غيري الا لم ابدا وقال الحسن لا تصل خلف رجل لا تجد فضلك في الصلوة
وقال المحفي مثل الذي يأم بالناس مثل رجل كمثل الذي يكمل الماء في الجرة لا يدري زيادة من نقصانه
وقال عامر الاثم فاسق الجماعة فخر اني ابو اسحق البخاري وعدد وفات لي ولد فرأني اكثر من عمر
الا لان مصيبة الدين اهون عند الله من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي
ثم لم يجبه فلا خير له ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع الاذان
ثم لا يجبه وروي ان عيسى بن عمران اتى بالمجذوم فقيل له ان الناس قد اضروا فقال انا لله وانا اليه
راجعون افضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما
الصلوة في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار وقال
ان اذا كان يوم القيمة حشر وجوههم كالكواكب الدري فيقول لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون نشا
اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا شغلنا غيرها ثم حشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون
بعد السواك كنا نشوص بعد الوقت ثم حشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون بعد السواك كنا
نسمع الاذان في المسجد وروي ان السلف كانوا يتزينون بصنم بعضا فلا ترايام اذا فات احدهم
التكبيرة الاولى يعزون بها اذا فاتهم الجماعة فضيلة المجذوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تقرب العبد الي الله عز وجل بشيء افضل من جذوم خفي وقال ايما مسلم تصدق بجذوم الا اعطاه
بها درجة وخطيئة عنه حطه وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يعافيني
من اهل شفاعتك ويرزقني مرافقتك في الجنة فقال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ملكوت
العبد الي الله عز وجل ان يكون ساجدا وهو معنى قوله واسجد واقترب وقال الله عز وجل يعاقبهم في وجوههم
من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور يظهر في الوجه وهو نور
من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هو الغرة التي تكون في وجوههم يوم القيمة من اثر الوضوء
وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجود فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلاه امر ابن آدم
بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وروي عن علي بن عبد الله بن عباس
انه كان يصوم في كل الف سجدة وكانوا يسمونه المجهاد وروي ان عمر بن عبد العزيز كان لا يجد
الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل المرض فما

٤٩

يواصل حسن الاعمال ثم ركوعه وسجوده وقد حال بينه وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما اسى على شيء من الدنيا الا على البرد وقال عتبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل من رجل لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله عز وجل منه حين يحرم ساجدا وقال ابو هريرة اذا سجد ما يكون العبد الى الله من رجل اذا سجد فاكثروا الدعاء عند ذلك فحقيق ان يستجاب له قال الله عز وجل واقم الصلوة لذكري وقال تعالى ولا تكن من الغافلين وقال تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فعل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وحب ان المراد به سكارى غفلة نبه على سكر الدنيا الذي فيه الصلاة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصلي لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وهو مروي في الصحيح وقال عليه السلام انما الصلوة مسكنة وتواضع وتضرع ويأس وتنادم وتضع بفعل وقول اللهم اللهم فمن لم يفعل هو خداج ورويي من اللهم في اكثر النسخ انه قال ليس لك من صلوتك الا ما اقبل عليه منها انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي ولم يبت مصرا على المعصية لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما وضعت الصلوة ومشروعية الطواف والسعي بين الصفا والمروة واستلام الحجر الاسود لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للذكر الذي هو المقصود والمخ عظيمة والاهبة فما فعلت ذكر وقال صلى الله عليه وسلم اذا صليت صلاة فصل صلاة مودع اي مودع نفسه ومودع اهله ومودع المصر سائر الى مولاه كما قال الله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان يدخل على ملاك بغير اذن وحلت وقيل كيف فعلك قال اسبغ وضوئك وتدخل بحرابك فاذا انت قد دخلت على ملاك بغير اذن فعلمه غير ترجمان وعن عائشة قالت رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة يخففها فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه استغنا الاستغناء الله وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد الشوخي اذا صلى لم يتقطع الدمع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ساب لحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بلحيته وهو يصلي فقال اللهم زوج هذا الحور العين فقال يبسل الخاطب انت خطب الحور العين وانت تصنع هذا فقيل لخلف بن ايوب

الا يزيدك الدعاء في الصلوة فقال دعها فقال لا اجده فقال لا اجد نفسي شيئا يشغلني على صلاتي قال له وكيف تصبر على ذلك قال يلغني ان الانسان يصبر تحت اسواط السلطان فقال غلان تصبر وتقهر نفسك فانا قايم بين يدي ربي افاعرك لذباحة ويروي عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله حدثوني الشر فانت احدثكم ويروي عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد واجتمع الناس اليه فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن ابي طالب اذا حضرت الصلوة يرتعد ويتغير فيقال له ما لك يا امير المومنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروي عن علي بن الحسين انه كان اذا توضاء اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ويروي عن ابن عباس انه قال قال داود عليه السلام الهي من ليس منك ومن قبل الصلوة فاوحى الله تعالى اليه يا داود اما يكفي بني وابين الصلوة من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يظل الجمايع ويوم الفزع وهم المصايب فذلك الذي يبيت فوره في السماء كالشمس ان دعاني بثبته واعطيته لجعله في ليلهد حلما وفي الفتن ذكرا وفي الظلمة نورا والمتماسك في الناس كالمتردد في البلدان لا يدري اين ارضها ولا يتضرعها بعا ويروي عن عامر الاسم انه سئل عن صلوة فقال اذا حانت الصلوة اسبغ الوضوء واتت الموضع الذي اريد الصلوة فيه فاصفه فيه حتى اجي ثم اقوم الي صلوتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت وراي واظنها آخر صلوتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر تكبيرا تجتمع منها الاناملة بترتيل واركع ركوعا يتماسك واجد سجودا تتضع واعد على الورك اليسرى واترك طرفي منها واضيف اقدامي على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اصبت ام لم اصب قال ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تذكير من قيام ليلة والليل ساه فضيلة المسجد ومواضع الصلوة قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا لله ولو مسجدا مفحصا قطاة بنى الله له بيتا في الجنة وقال عليه السلام من الف المسجد الف الله تعالى وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملايكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وقال ياتي على الناس في آخر الزمان ما امر من اخي يا تون المساجد

يا عباد انكم انما هي اعمالكم تحصى عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه قال الله عز وجل ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وقال ابن شهاب ان ذوات الدين من النساء يعلمن ما يعلم الرجال من الطهور والصلاة وقال ابن شهاب في المساجد ثلاث ذوات فيها غاربها فطوبى لعبد طهر بيته ثم زار ربه في بيته ثم حق على المزور ان يكرم زائره وقال اذا قام الرجل في هذه المساجد فانما هو في احد ثلاث اما في صلاة واما في ذكر واما في قراءة وقال سعيد بن المسيب من صلى في المسجد فانما يجالس ربه فليعلم العبد ان لا يبزق في المسجد ولا يمتخط فيه ولا في الارض في الخلاء حيث يصلي في المسجد ياكل الحسنات كما ياكل البهيمة الحشيش وقال الفقهاء كانوا يرون ان الحصى التي في القبلة المظلة الى المسجد من جملة المسجد وقال ابن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام ذلك السراج مضيئا وقال علي بن ابي طالب اذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الارض وهو مصلاه من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس يبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد يخر لله ساجدا في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيمة وبكت عليه يوم موته وقال ابن مالك ما من مصلى مكتوبة من بقاع الارض الا ذكرا الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين ومن عبد يقوم يصلي الا زخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزله قوم الا اذا اصبح ذلك المنزل يسبق عليهم ايهم يصلي منهم

باب الرغائب في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة

والبداية بالتكبير وما قبله منها في المصلي اذا خرج من الارض وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان وستر العورة وستر العورة الى الركبة ان منصبيا فانها منسوبة الى المنكبة وهو ما بين منكبيه لا يخفى انها ذلك كما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلام عن الصفن والصفد في الصلاة والصفد هو اقران الرجلين معا وقوله مقرنين في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله فما في الصافنات الجياد هذا ما يراعي في سبيله منها القيام ويراعي في ركوعه وسجوده تسطيح الاصابع واحاذاة فان شاء ترك على استواء القيام وان شاء اطرف والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر ويكون بصره مصورا على صلاته الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلاه قريبا من جدار او غيره خطا خطا فان ذلك مصور صلاته ابصر ويمنع نزق الفكر ويجهد على صون ان جاز اطراف المصلي وحد الخط ويدوم على هذا القيام كذلك في الركوع من غير انحناء هذا ما يراعي في القيام فاذا استوى قائما استوى اصبعا واطرافه كذلك فليقرأ قل اعوذ برب الناس وقل اعوذ برب الفلق تحصنا من الشيطان ثم فاتحة الكتاب ان كان من المصورين عند قيام فاتحة الكتاب ان لم يحسن منه وسورة من سور المفصل في الظهر مثلا وفي سنة اوفي فريضة الظهر يقرأ بقوله اودي من القضاء وفي الفريضة من النفل وفي الظهر

عن العصر وغيره وليكن مصاقبا هذه الالفاظ حاضرا في قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات وايا
لسنن بها ويجتهد ان لا يسبق ذلك الى آخر التكبير حتى لا تقرب فاذا احضر بقلبه ذلك فليرفع يديه
الى حذو منكبيه بحذاء راسه الصاحب يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤس اصابعه
رؤس اذنيه ليكون جامعا بهذا الاخبار الواردة فيه ويكون مبتدئا بكفيه الى القبلة رافعا الاصابع
لا مضمومها ولا يتكلف فيها نشرها ولا فتحها بل يتركها على مقتضى طبعها اذ قد ثبت الامر بالنشر فهو
بينها فهو ولي فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدا بالتكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع
اليدين على فوق السرة تحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان يكون على الرسغ
والساعد من اليمنى على طول الساعد ومعاطف الابهام والخنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع
اليدين ومع استقرارهما مع الارسال وكل ذلك لا خروج فيه بالارسال اليس فانه كلمة العقد
ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبدأ الارسال آخر الوضع ومبدأ التكبير
الالف وآخره الراء فيلحق مراعاة المطابقة بين الفعل والصفة واقامة اليد فكالمقدمة لهذه
البداية فلا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام وحذاء التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا بعضهما
عن يمين وشمال بعضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا لا عنفا ويستأنف وضع اليمين
على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه عليه السلام كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان
يضع وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو الذي تاولناه واما التكبير فينبغي ان يتم الهاء من الله في صفة
حنيفة من غير مبالغة ولا يفصل بين الهاء والالف سوى الواو وذلك بان تأتي به بالفة ولا يدخل
بين ما اكبر وبين ما اذا كان يتولى اكبار ويحرم راء التكبير جزما من غير ضم فهذه هيات التكبير وهاهنا
القراءة فريضة في دعاء الاستفتاح ويحسن ان يقول حبيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا ووجهت وجهي الى قوله تعالى وانا من المسلمين ثم يقول بحمدك اللهم وبحمدك
تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان
خلف الامام اقتصر ان لم يكن للامام سكتة على ما يقرأ فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ثم يقرأ الفاتحة مبتدئا فيها بسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها مجتنبا
الوقف بين الضاد والظاء ويقول آمين بعد آخر الفاتحة ويمدها مدا لا يصل آمين بين لا والضالين
ويسر بها في السرية في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون مأموما ويجهر بها ثم يقرأ
السورة ان قدر ويكره ثلث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبيرة الركوع بل يفصل

بينها بقدر قوله سبحان الله ويقرأ في الصبح من السور طوال المفصل وفي المغرب قصاره وفي الظهر
والعشاء وسطه فاتحة الكتاب وسورة معها وفي الصبح في الركعة الاولى يا ايها الكافرون وفي الثانية
وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا
في اول الصلوة الركوع والواجب منه ثم يركع ويراعي فيه امورا ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة
الركوع وان يمد التكبيرة مدا الى الاشباع الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وامكنه
مشزورتين موجهة نحو القبلة على طول الساق وان نصب ركبتيه كما سبق وان مد ظهره مستويا
وان يكون عنقه وراسه مع ظهره كما في صفة الواجب لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه
عن جنبيه وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الى السبعة
والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن
في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد ولا يطول
هذا القيام الا بقدر صلوة التسبيح ويسن في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المانورة المعروفة
ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وانفه مكشوفة ويكره عند الجمهور
ولا يرفع يديه مع غير الركوع ويستحب ان يكون اول ما يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع يديه ثم يضع
يديه ما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المراة ذلك
وان يفرج بين ركبتيه ولا تفعل المراة ذلك وان يكون في سجوده على يا ولا تكون المراة محتفزة والمحتفزة
رفع البطن من الفخذين والتفرج بين الفخذين وان لا يفرج اصابعها في سجود بل يضمها ويضم الابهام
اليها وان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفترس ذراعيه على الارض كما يفترس الكلب فانه منهي عنه وان
يقول سبحان ربي الاعلى ثلثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا
ممسكا افخاذه راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع
منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني
واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا بقدر السجود وياتي بالسجدة الثانية كذلك ويستريح
منها جالسا بجلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا يشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليدين على الارض
ولا يقدم احدى رجليه في حالة الانهاض وبعد التكبير حتى يستوي قائما بين وسط انتصابه الى
القعود الى وسط انتصابه الى القيام بحيث يكون هاديا عن فخذيه بيديه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده
على اليد للقيام وراء اكبر في وسط انتصابه الى القيام ويستريح في وسط انتصابه الى القعود وفي

في وسط ارتفاعه الى القيام حتى يتم التكبير في وسط استقباله ولا يخلو عنه الاطراف فهو اقرب الى التمام
ويصلي الركعة الثانية كالاولى وسماه القدوري في الابتداء التشهد ثم يتشهد في الركعة الثانية
التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويرسل
اصابع اليمنى الا المسبحة ولا بأس بارسال الابهام ايضا وبه يحصل ما روي عن ابن عمر رضي الله
عنهما انه قال لا آله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير
يتمكن للدعاء المأثور بعد الصلوة على الآل وسنة كسنن التشهد الاول ويكره جلوس في الاخير على
وركه الايسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستوفز ويضع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب
اليمنى ويخرج رأس الابهام اليمنى القبلة ان لم يتوجه عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت
بحيث يرى خده الايمن من وراءه من جانب اليمين ويلتفت شيأ لا لذلك ويتم تسليمه ثانيه
وينوي الخروج بالسلام عن الصلوة وينوي السلام على من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى
وينوي مثل ذلك في الثانية ويخفف السلام فلا يمد ما فوق الاذنين هذه صفة صلوة المنفرد
المشتهيات تنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوة عن السدل والصفد وعقد الثياب
وعن الاعتماد وعن السدل والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلوة الخاصر
والخاصر والحازق وعن صلوة البجاع والمتعطب والقعسان والمتلثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء
فهو عند اهل اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على اليتيه
حاشا وليس على الارض الا رؤس اصابع الرجلين والركبتين واما السدل فذهب اهل الحديث فيه
ان يلتحف به ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد وكذلك وكان هذا فعل اليهود في صلوتهم
فنهوا عن التشبه بهم والتمطي في صلوته فلا ينبغي ان يركع او يسجد وهو في بدن القميص قبل
هذا ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه الا
اقرب واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود ويديه في اكمامه حتى
الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والعقص للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة اعضاء
ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يصلي وثوبه القميص في الصلوة وراء من الكف واما
الاختصار فان يضع يديه على حاصرته واما الصلب فان يضع يديه على خاصرته ويخالف بين
عضديه في القيام واما المواصلة فهي خمسة اسبوع على الامام ان لا يصلي قبل تكبيرة الاحرام
ولا بعده بنية واسبوع على المأموم ان لا يصلي تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه

بينها ان لا يصل عليه الفرض بالتسليمة الثانية ويتصل بينهما وامّا الطائف فى البيت والطائف
فى الطرايق والخارج من صاحب الحق الفسق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفى معناه الجايع والجشم
وفهم بعض الجايع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشا وافمت الصلوة فابدؤا بالعشا الا ان
يضيق الوقت او يكون تتوقان النفس وفى الخبر لا يدخل احدكم الصلوة وهو معتلب ولا يصلين احدكم
وهو يدافعه الاخبثان وقال الحسن كل صلوة لا يحضرها القلب فهى فى العقوبة اسرع وفى الخبر ستة
اشياء فى الصلوة من الشيطان الزعاف والقعاس والوسوسة والسهو والحكاك والالتفات
والعبث بالثوب وذراعيه ضم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة اشياء فى الصلوة من
الجفاء الالتفات يمنة الوجه وشوب الحصباء ان يصلى بطرق من حريرين يديه وفى ايضا
من ان يمسك بين اصابعه او يرفع اصابعه او يستر بوجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى
ويضطهما بين فخذيه فى الركوع وقال بعض الصحابة كانا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا
ان ينفخ فى الارض عند السجود للتطيف وان يمسح الحصى بيده غانها افعال تستغرق فيها ولا
يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه والاستند فى قيامه الى حايط فان استند بحيث لو سئل
ما يستند اليه سقط فالاظهر بطلان صلوته تميز الفرايض والسنن جملة ما ذكرنا اشتملت
على السنن والهيئات والآداب التى ينبغى ان نشير اليها مرتبة على طريق الآخرة بجميعها والفرض من
جملتها استاخرة خصلة الشيء وقول الله اكبر والقيام والقراءة والانحناء فى الركوع والقيام
ينال راسه وركبتيه مع الطمانينة والاعتدال منه قايما والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع
اليدين والاعتدال منه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلوة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما نية الخروج فلا يجب وما عداها فليس بواجب بل هى سنن
وهيات فهاوفيها الفرايض اما السنن فى الافعال اربعة رفع اليدين فى تكبيرة الاحرام وعند
الهوى الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول واما ما ذكرناه من كيفية وضع الاصابع و
رفعها ففى هيات تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيات تابعة للجلسة والاطراف
وتركا الالتفات هيات القيام وتعيين سورة وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصل
السنن فى الافعال لانها كالمتعين عند الانتقال من الهوى الى القيام لانها ليست مقصودة
فى نفسها ولذلك لم نقدها بتذكر واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله
آمين فاتحة الكتاب ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر فى الركوع والسجود والاعتدا

مقام التشهد الاول والصلوة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير
التشهد الثاني وهذه وان جمعناها في اسم التشهد فانها ربعات متفاوتة اذ عدد من جملتها بحرف
التشهد اربعة اخماس الافعال فواحد وهو الجلسة الاولى في التشهد الاول فانها موزعة في مرتبة نظم
الصلوة في اعين الناظرين بحق يعرف بها انها راجعة ام لا خلاف رفع اليدين فانه لا يوزع في غير
النظم فخرج عن ذلك بالتبعض وقيل الابعاض غير الجوح واما الاذكار فكلها لا يقتضي بجود التشهد
الاولى الفروض والتشهد الاول والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف سجدات
الانتقالات واذكار الركوع والجوح والاعتدال عنها لان الركوع والجوح في صورتها خلاف
الصلوة ويحصل بها معنى الصلوة مع السكوت عن الاذكار وعن سجدات الانتقالات فعدم
تلك الاذكار لا يغير صورة الصلوة واما الجلسة للتشهد الاول فهي فعل معتاد وما الاربعة الى
التشهد تركها ظاهر التأثير واما قعاء الاستفتاح والسورة فتركها لا يرجح ان الهيأة صار مخوفة
بالتخلف وعزاعن العادة بها لذلك المعنى في التشهد الاخير والسورة بعدها اخيرا لسجود
ولكنه شرع بعد الاعتدال التي هي اصح لجملة مكان كجلسة الاستراحة اذا صارت بالمدفع التشهد
جلسة للتشهد الاول فتفي هذا بما جردناه واما ما عداه فليس فيه ذكر واجب وفي الحدود
احتراز عن غير الصحيح في مظنون عن ترك واجب احتراز عن اصل القيام في الصلاة فانه فعلت
غير المنتفل عن الفرائض معذورا اذ فوت الصحة بفوت الفرض دون السنة وبين العقاب
به وتركها فاما غير سنة عن سنة والكل ما يوجب على سبيل الاستحباب والعقاب في ترك الكل
والثواب يرجع في الكل ما معناه فاعلم ان اشتراكهما في المواظبة والعقاب والاستحباب لا يمنع
تباينهما ويكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا ما لم يوجد الكامل الا لمعنى باطن
واعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والنظام لاجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء
يتقدم الانسانية تقدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو مع فوت الحياة منه يبادر بفوته الانسان
بها الموت ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل والانسان بفقدها لا يفوت بها
الحي ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين والهيئة والاهداب وحسن الثوب
بفقدها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن كالذكاء يستوي الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب
خلقة الاعضاء واشراق الحمرة بالبياض في الثوب فهذه ربعات متفاوتة فكذلك العبادة صورة
صورها الشرع وقيدنا بالكتاب بها ان معناها حين تها الباطنة الخشوع والنية والقلب والاخلاص

كما يأتي وهي الآن في اجزائها الظاهرة كالركوع والسجود والقيام وسائر الاركان يجري منها مجرى
الرأس والكبد اذ ثبوت وجود الصلوة بثبوتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين وما الاستفتاح
والتشهد الاول يجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا يثبوت الصحة بثبوتها كما لا يثبوت
الحيوة بثبوت هذه الاعضاء ولكن بعدم النقص بسببه صوم الحافظة مفوت ما فيه من وجه فهكذا
من اقتصر على اداء ما يجري من الصلوة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عدا ما قطع الاطراف
واقتصر على الذات وهي ما وراء السنن فهي بمثابة لحم الجسد من الحاجبين والعينين والاذنين
وحسن القدود واما الطائف الآداب في تلك السنن فهي بمثابة الحسن كاستواء الحاجبين واشراق
الوجنة وغيرها فالصلوة كملك قربه ومحمد متقرب بها الى حضرة ملك الملوك كصنف يهدي الى
القربة من السلطان اليه وهذه المحفة هو على اقدام يرجو عليك في يوم العرض الاكبر فانك الخيرة
في حسن صورتها او تبعيضها فان احسنت فلنفسك وان اسأت فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك
من مدرسة الفقه ان تترك السنة من الفرض فلا تصلي نفسك او صلاتك الا بجذوة كما
تترك الجفان وذلك مثل ما في قول الطيب ان فقد العينين لا يبطل بجرد الانسان ولكن يخرجه عن
ان يسلك به مسلك الرجال المقربين في قبيل السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان يفهم
مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلوة لا يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي بمثابة الجسم الاول
على سلبها يقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالما الاجتهاد التي اوردناها في آداب الصلوة
ليظهر لك وجهها الباطن [illegible] الثالث في الشرط الباطنة من اعمال
القلب ونذكر في هذا الكتاب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر الحجاب في الباطنة
وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر بتفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلاة لتكون
صلاته زاد الآخرة بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك
قوله تعالى اقم الصلاة لذكري ظاهر الامر للوجوب والفضلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته
كيف يكون مقيم الصلاة لذكره وقوله لا تكن من الغافلين بين ظاهر التحريم وفي الحديث ما
من رجل يصلي المكتوبة الا تكوان وهو معذور في الشاغل المستغرق الهم بالوسوسة واذكار الدنيا وقوله
صلى الله عليه وسلم انما الصلاة بحسبكم وقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة اما الخفيف والتخفيف والتوكيد
وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم
من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا ينهى من الفحشاء فقال

صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب وما اراد به الا الفاضل وقال ايضا ليس
للعبد من صلوته الا ما عقل والتصوف ان الصلوة بمنهاج ربه كما ورد الحديث والكلام مع الفضل ليس
بمناجاة اليه وبيان ان الزكوة ان عمل الانسان فيها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة
على النفس وكذلك الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الحيوانية التي هي آلة الشيطان ومدخله فلا بد
ان يحصل منها المقصود مع الفضلة وكذلك الحج اعمال شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يصدأ به
القلب اذا كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلوة فليس فيها الا الذكر لله وقراءة صحيحة
وقيام وقعود اما الذكر فانه مجاهدة ومناجاة مع الله عز وجل فاما ان يكون المقصود منه كونه خطابا
ومجاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما يمتحن الجلد والفرج بالامساك
في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة وانقطاع المال العزيز
ولا شك في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اشقه على الفاضل فليس فيه
امتحان من حيث انه تحليل بالمقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا الا اذا اجرى حرفا
في الضمير ولا يكون مجريا الا بحضور القلب واي شيء قوله احدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب
غافلا والذهن يتصدى نصرة وعمارة فاي مشقة في حركة اللسان به في الفضل لا سيما بعد الاعتياد
هذا حكم الاذكار بل اذا لم يحضر الانسان وقال لا شكرت فلانا واثنى عليه واستدل حاضر
هذه الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يرتب عينه واجرى على لسانه
في ظلمة ذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لاصرارا يتبع عينه اذ لا يكون كلامه
خطابا ومخاطبا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان معنى هذه الكلمات على لسانه وهو غافل
الا انه في بعض انتهاء غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه
الخطاب عليه عند نطقه لم يصر اذا في عينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد
والثناء والتضرع والدعاء والمخاطبة هو الله وقلبه بحجاب الفضل محجوب عنه فلا يراه ولا يناجيه
بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت
لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسخ عقد الايمان فاما حكم القراءة والذكر والجلد فهذه
الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق وهذا هو الفضل واما الركوع والسجود فالمقصود
التعظيم بهما قطعا ولا بد ان يكون معظما لله بقلبه وهو غافل عنه فلا بد ان يكون منطأ الجسم
موضوع بين يديه وهو غافل عنه او ان يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل وانما يخر

من كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل هذا
الدين والفاصل بين الكفر والايمان ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجعل المتعمد بتركها على الخصوص
وما ادري ان هذا القطع تكليف الصلوة من حيث اجزاء الظاهرة الان مصادف فيها مقصود المتابعة فان
ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيرها بل الاخبار والقرائن التي هي بمعاهدة النفس بتتبع المال
قال الله عز وجل فيها ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم يعني الصلوة التي استولت على
القلب حتى جعلت على امثال الاوامر المطلوبة فكيف الامر بالصلوة ولا اوجب اضغانها فهذا ما يدل
من جهة الخوض في اشتراط حضور القلب فان علمت ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب شرطا
في صحتها فانت به اجلع الفقهاء فانهم لم يشترطوا حضور القلب الا عند التكبير فاعلم ان قولهم في كتاب
الله ان الفقهاء لا يعتبرون في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا في طريق الآخرة بل يدورون
على ظواهر احكام الدنيا على ظواهر الجوارح دون ظواهر الاعمال كان شروط القتل او تعزير السلطان فاما انه
ينفع في الآخرة فليس هذا من صدور الفقه على انه لا يمكن ان يدعي الاجماع فقد نقل بترتيب المعارف
عن ابي طالب المكي عن سفيان الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلوته وروي عن
الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاوية بن حيدة من عرف من
خلقه وشيمه السجود وهو في الصلاة فلا صلوة له وروي ايضا مسندا وقال عليه السلام انما العبد ليصلي
الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب العبد من صلوته ما عقل منها وصدر الفقل من غير
صلى الله عليه وسلم لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال العبد الواحد بن زيد اجتمعت العلماء على انه ليس للعبد
من صلاته الا ما عقل منها فهذا جماع ما نقل من هذا الفن من الفقهاء المتورعين ومن علماء الآخرة
اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآيات ظاهرة في هذا الشرط الا ان مقام الفرق
في التكليف الظاهر شديد صعب تقصر الخلق فلا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة
فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلون ولم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط
منه ما يتطلق عليه الاسم ولهذا في الفظة الرابعة وارد في الفظات به لفظة التكبير فاقتصر على التكليف بذلك
ويخرج ذلك بحيث ان لا يكون حال الفاعل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على البعد اعدم
على الفعل ظاهرا فاحضار القلب لفظة وكيت لا ما الذي يبطل مع الحديث نا سيا صلوته باطلة عند ابي حنيفة ولكن له
اجرا بحسب فعله وعلى قدر قصده وعذره ومع هذا الرجاء فحسبي ان يكون حاله اشد من حال التارك
وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الفاعل المستخف اسوء حالا من الذي يترك

عن الخدمة ويتهاون بالحضور واذا تفاوتت اسباب الخوف والرجاء وسار الامر محفوظا بنفسه فالبك
الخيرة بعد في الاحتياط والتفاصيل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الجملة
مع الغفلة فان ذلك ضرورة الفتوى كما سبق اليه وقد عرف سر الصلوة على ان الغفلة ايضا
ولكن قد ذكرنا بينه الفرق بين العلم الباطن والظاهر من كتاب قواعد العقائد فان شربت الحذر اجد
الابواب المانعة عن الشرع بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان
منتهى الجد الطالب بطريق الآخرة واما الجاهل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام
ان حضور القلب هو روح الصلوة وان اقل ما ينبغي ان يعرض الحضور عند التكبير فالنقصان عنه
هلاك وبعيد ان يراد تعليمه شبيه الروح في اجزاء الصلوة وكم من مبتلى لا يدرك بعيد قريب من ميت كصلوة الغافل
بجميعها الا عند التكبير حتى لا يجزاك به بيان المعاني الباطنة التي بها تتم جميع الصلوة
اعلم ان عدد المعاني في تكبيرة العبارات منها وكل منها مستجل وهي حضور القلب وافهام التعظيم
والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر مقاصدها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها اما التحصيل
فالاول حضور القلب والمعنى به ان يفرغ القلب عن غير ما هو فيه لا بد منه ويتكلم به فيكون العلم بالفعل
والقول معه وقد يعبر عنه بالتفكر وهو ان لا يكون التفكر في غيرها وبما انصرف التفكر عن غيرها هو فيه وكان في قلبه
ذكرها هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء منه فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر وراء
حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على
العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس
في فهم المعاني في القرآن والتسبيحات وكم من معاني لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم يكن
قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تمنع امورا
تلك الامور يمنع من الفحشاء والمنكر لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل
يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالمعظم لا بد عليها وراء
الهيبة فزايد على التعظيم بل هي عبارة عن نوع من الخوف مثل التعظيم لان من الاجلال لا يبعد هيبا
والهيبة من العقرب ومن خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل
الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال واما الرجاء فلا شك
في انه زايد فكم من معظم ملكا من الملوك مهابا ويخاف سطوته ولكن لا يرجو مرتبته والعبد ينبغي
ان يكون راجيا لصلوة ثواب الله عز وجل كما انه خايف بتقصيره عقابه الله واما الحياء فهو زايد

على الجملة لان مستند استشعار تقصير وترحم ذنب وحضور المعظم والخوف والرجاء من غير هيبة
بحيث لايكون وهم سبيطا لانكباب وثب واما الاسباب المعاني التسعة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة
فان ذلك تابع لهمتك فلا يخطر الاضافتك وسببها الفكر امر حضر القلب ساهم الى فهو مجبول عليه ويكفر
فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن معقلا بل كان حاضرا فيما الهمه مصروفة اليه من امور الدنيا
فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا صرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تصرف اليها ما لم تتبين ان الغرض
المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها
فاذا اضيف هذا الى حقيقته اصلح بصفارة الدنيا وبقاياها واصدأ من محو عهد صفو القلب في الصلوة
ومثل هذه الصلوة بحضرة ملك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر فقد لا يقدر على مخرقتك ومنعتك
فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظن
ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه ستسمعي في غير هذا الموضع
واما الفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرفه لذهنك الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو
علاج احضار القلب مع الاقبال على التفكر والتشمير لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة
تعلم مرادها اعني الفرج عن تلك الهمة الاسباب التي تجلب الخواطر اليها وعالم تنقطع تلك المواد
لا تصرف عنها الخواطر فان لحسب شيئا اكثر ذكر فاذكر المجيب يجتمع على القلب بالحضرة فكذلك
يجب ان من احب غير الله لا تصرفه صادقة عن الخواطر واما التعظيم فهو حالة للقلب يتولد من معرفتين
احديهما معرفة جلال النفس وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا يدعن النفس
لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس ودنستها وكونها جديرا بان يتواضع لشيء من الخلوقين
الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيقترن عند التعظيم وعالم يحرج معرفة حقارة النفس بمعرفة
جلال الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه بعز لا يعرف
من غير صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حالة الا لمن اقترنه الاخرى وهي معرفة حقارة
النفس طبعا لم تقترن اليه واما الهمة والخوف فحالة للنفس متولدة من الهمة متصدة له وسيلة
وقد مشيت فيه مع قلة المبالاة بسواد اعلك الاولين والآخرين لم يتخلص من ملكوته ذرة هذا
مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصايب وانواع البلايا مع القدرة على الدفع على
خلاف ما يشاهد فمن ملك الارض وما بينهما كما اذا علم انه زادت الحمية والهمة وحياتية
اسباب ذلك شيء كتاب الخوف من ربع المهلكات وفيه اربعة ابواب فسببه معرفة العظمة وكونه وعيم

صدق فانه يحضر على كل ما يلتفت اليه ويوقف على ما عاش عليه ويريح به فذلك حال قلبه لا حال نفسه فمن
صفات القلوب مصارع الصور في الدار الآخرة ولا يجوز الامن في قلبه بقلب سليم بيان الدواء الناجع
لقلوب العلم ان المؤمن لابد وان يكون معظما لله ومخافا منه وواجبا او مستحبا
من تعيين ولا يزول عن هذا الحال بعد اقامته وان كانت قوتها بقدر قوة عينه فانكاره في الصلاة
لا سبيل الا الى قطع الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يخلو عن
الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا دفع الشيء الا
بدفع سببه فليعلم سببه وسبب وارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما
الخارج فما يقع منه البصر او يظهر للبصيرة فان ذلك قد يخطف الفكر حتى يتبعه ويتصرف في عنه عن الفكر
غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قوي
رسته وعلت همته لم يكن ما يجري على حواسه وكان الضعيف لا بد وان يتغير فيه فكر فعلاجه قطع
هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب
من حائط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة
المصورة وعلى الفرش المصورة ولذلك كان انبياء بني اسرائيل يتعبدون في بيت مغير مظلم معتد بتعذر الخروج
ليكون ذلك جمع للهم والاقبال وكان المتعبدون المساجد يغضون البصر ولا يجاوزون موضع الجبهة
ويرون كراهة الصلاة في فدان لا يعرفون من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلاة معصما
ولا سيما الارمد ولا يثبت الاعضاء اما الاسباب الباطنة فهي اشد فانها من شعب الهموم في امور
الدنيا لم يتصور ان في قلب واحد بل لا يزال يطرق من جانب الى جانب وفي البصر لمحة فان ما وقع
في القلب من فعل كان للمشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقول في الصلاة ويشغل
به عن غيره ويحسه على ذلك ان يستعد قبل الشروع بان يحدد على نفسه ذكر الآخرة ويرقبها الى ان
يخطر المقام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل الشروع بالصلاة عما يحتاج اليه
نفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن شيبة لعلي سمعت ان اترك
ان تصلي الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا
طريق تسكين الافكار فان كانت لا يمكن صانع افكار بهذا الدواء المسكن فلا علاجه الا المسهل
الذي يقطع مادة الداء من اعماق العروق وعليه ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن الصلاة
القلب ولا شك في انها ترجع الى شهوات ملكها الغالب صارت بها شهوات فيجاهد نفسه بالترويح عن

تلك الشهوات وتقطع تلك العلائق فان كل ما يشغله عن صلوته فهو مشغول به وبعضها ليس هذه فانه
اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي اتى بها ابو جهم
وعليها علم وصلى فيها امر بها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني آنفا عن صلوتي
اوتى بانجانيه ابي جهم وامر صلى الله عليه وسلم بقدح به شراك فحدق نظره اليه في الصلوة اذكان جديدا
فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلام واحدي نعلا فاعجبه حسنها فجعد وقال
لا اسمعنك تقول كيلا يتنقى ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر علي ان يشتري بردا رين
فلبسها وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال يشتغل هذا نظري اليه
ونظر اليكم وقيل ان خاتمه صلى الله عليه وسلم سقط في حايط لدفنه بئر فاعجبه وبقي طول في البئر يفتش عنه ثلاثة
يوم ساعة ثم لم يجدوه صلى الله عليه وسلم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الغشية ثم قال يا رسول الله
هي صدقة فتصدق حيث شئت وعن رجل اخر انه صلى في حايط والنخل معلق ثمرها فنظر اليه
فاعجبته فلم يدر كم صلى وذكر ذلك لعثمان وقال هي صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين
الفا وكانوا يفعلون ذلك تطهيرا لمادة الفكرة وكانت لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الذي اشار
لمادة الصلوة ولا يفوت غير هذا ما ذكرناه من التلطف بالمتكبين وازالة فهم الذكر تتمة في الشهوات
الشديدة وهي التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التكبر
بل لا بد ان تعاديها وتعاندها ثم تعلم ان جميع صلوتك تضيع في شغل الحاشية مثل ان رجلا تحت شجرة
اراد ان يصفي الفكر وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها خشية حتى يأوي بدون شجرة
الى فكر فتعود العصافير بعينها الى الشجر بالحشية فقيل له ان هذا سير اني ولا يتخلص فان اردت
الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا انشغلت وتفرقت احساسها انصرفت اليها الاوهام
فتجاذب العصافير في الاشجار وتجاذب الذباب في الاوعار والشغل بطرد الذباب كالشغل بدفع الشهوات
وجب ان يعلم ان هذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما تخلو القلوب منها بل هي اصل
واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة وراس كل نقصان وجميع كل فساد ومن اعطي ما اعطيه
علي حب السلامة بما الذي تخشى منها الا شرورها ومنها ان تصدك بها عن الآخرة فلا تطمئن في ان تصلي
له لذة المناجاة في الصلوة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبما يقربه الى الله
مع فرحه عنده فان كانت قوة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها ومهما كان مع هذا فلا ينبغي ان يترك
المجاهدة ورد القلب الى الصلوة بسبب الاسباب الشاغلة فهذا لهو الدواء واما استيصاله

اكرا الطبع وتيب الصلة تمرضة وصار الما بعضا لاحق ان الاكابر لجهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدث
انهم فيها بامر الدنيا عجزوا عن ذلك فانه لا يطيع في لامثالنا وانت سلم من الصلوة شغلها او
لها عن الوسواس فيكون من خلط احد الصلاتين آخر سيا وعلى الجملة فهمه الدنيا وهمة الآخرة
ة القلب مثل الماء الذي نصب في قدح فيه خل فمقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج من الخل الاعلا
والاجتماعات بيان ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط
من اعمال الصلوة فنقول حقا كنت من المريدين للآخرة ان لا يشغل بالاغراض الدنيا
التي من شرط الصلوة اركانها اما الشروط السوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة
واستقبال القبلة والاشتغال فيها بالنية فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء
يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين
ينادون بالتلطف يوم المعرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار
مسحونا بالرغبة الى الابتداء فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء وان فيك علم
ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها اذ كانت قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا
اتيت بها في مكانك وهو طرف فلك الاعلى ثم في ثيابك وهو طرف فلك الاقرب ثم في بشرتك وهي وتركك
الادنى فلا تغفل عن تلك التي هو فلك وهو قلبك فاجتهد في تطهيرها بالتوبة والندم على ما
فرط وبعزم الصرم على ترك العود في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر بصيرتك واما
ستر العورة فاعلم ان بعضاء تنطق بفضائح بدنك من ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق
فاركيف بعورات باطنك وفضائح تركب التي لا يطلع عليه الا ربك فاخط تلك الفضائح بباطنك
تلك بسترها وحقيقة الاستتار عن عين الله سائر واما كيفية هذا الستر والحجاب فتستدل بحضارها
في قلبك اشياء بعزة الخوف والحياء عن مكاشفة ذي بنفسك ويتمكن من الجملة قلبك
ويتم حين يرجيه يوم العبد الحق الابق الذي هرب فرجع اليه مولاه فكان راسه من الحياء
والخوف ... فهو صرف ظاهره وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله
الحرام فان صرف القلب عن سائر الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك صحيحا ولا مطلوب سواه واما
هذه الظواهر تحركات الجوارح وضبط الجوارح وتكيفها بالاتيان في جهة واحدة تحقق
لانها على القلب فانها اذا ابعدت وغلطت في سكناتها وافعالها التي بجهاتها استنبعت القلب
وعدلت به عن وجه الله فليكن وجهك مع وجه بدنك واعلم انك لا تتوجه الوجه الى جهة البيت

الا بالصرف عن غيرها فلا يصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفريغ عما سوى الله وقد قال صلى الله
عليه وسلم اذا قام العبد الى صلوته فكان جوفه وجهه وقلبه الى ما انصرف بكليته ولذته اما
الاعتدال فانا هو مسئول بالتخصص والطلب بين يدي الله فليكن رأسك الذي هو رئيس
اعضائك مطرقا مستطاطئا مستكينا وليكن وضع الرأس من انقياده تنبيها على الزام القلب
التواضع والتذلل والبعد عن الرأس والتكبر وليكن على ذكر كيف تخطو المقام بين يدي الله
تعالى في حمول الخطاء عند التعرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين يدي الله وهو مطلع
عليك فتم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله
بل عد في دوام قيامك في صلوتك انك مطرقا ومرقوب عين كالمه من رجل صالح من اهلك
او ممن يرغب في ان يعرفك بالصلاح فانه يهدئ عند ذلك اطرافك ويخشع جوارحك وتسكن جميع
ابزائك جملة ان سبيل ذلك الهاجس المسكن الى جملة الخشوع واذا لمست من نفسك الوانك
عند ملاحظة عند سكون قلبك وقلة انك بعض معرفة الله وجبه افلا تستحيي
من استقرارك عليه مع تقريرك بعبدا من عباده او بعض الناس ولا يخشاه وهو احق ان تخشى وتتقيه
لما قال ابو هريرة كيف لي ان اعلم ان الله قد قبل صلوتي قال صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من رجل صالح
من اهلك واما التيسر فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلاة واحفظها واراعها
عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله عز وجل وجاء ثوابه وخوفا من عقابه
وطلبا للقربة منه متعقدا للمنة بادائه اياك في المناجاة مع سوء ديك وكثرة عصيانك
وعظيم تقصيرك مقدرا مناجاته وانظر من بناجي وكيف بناجي وبمادي مناجي وهذا هذا ينبغي
ان يعرف حينئذ من الجلالة وتراجد فيك من الهيبة ويغمرك من الخوف واما التبكير
فاذا تعلق به لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فانه
يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم
رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله عز وجل وانت اطوع لدنك منه فقد احتقر الله
وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان لمجرد وقد يخلف القلب عن مساعدته وهو
اعظم الخطر في ذلك فعليك بالتوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه وامره ايانا
بالاستفتاح فاول كلمة تزكي وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس الوجه الا الذي
يراه الظاهر فاذا توجهت الى جهة البيت فاعلم انه سبحانه منزه عن ان تحده الجهات حتى تقبل

الله وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم ههنا المسمى وباذكر استا الامور بالله والعزم
كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى ان غيره فهو اما مبتدع غير الله بشكر لا
من حيث انه مخترع من الله فقد سبه وتجحيد نقصان بتعدد النعمة الى غيره فاذا قلت الرحمن الرحيم
فاحضر في قلبك انواع لطفه فيتفتح لك بعضه فينبعث به رجاءك ثم استمر من قلبك التعظيم الخوف
بتركك مالك يوم الدين اما التعظيم فلانه لا ملك الا الله واما الخوف فلهول يوم الحشر والحساب
الذي هو مالكه ثم بعد الاخلاص بتركك اياك نعبد وبعد العجز والاحتياج والبرئ من الحول
والقوة بتركك اياك نستعين وبحق انه ما يتسر بك طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لها
واستخدمك لعبادته يجعلك اهلا لمناجاته وارجو بك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان
اللعين ثم اذ فرغت من التفويض بتوكك بسم الله ومن التحميد ومن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا
فعين سؤالك ولا يطلب الا اهم حاجاتك مثل اهدنا الصراط المستقيم الذي تسوقنا الى جوارك وتفضي
بنا الى مرضاتك وجدده مرجيا ومتضرعا ومؤكدا واستشعر عند الدين فاعلم عليهم نعمة الهداية من
النبيين والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والراسخين في الجهل والضلال
والضالين ثم اختم الامر بالاستجابة وقل آمين فان الموت الصالح كذلك فسبيل ان تكون عند قال الله تعالى
فيهم فيما اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها
لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قولهم الله من
حمد الحديث الى آخره فاذا لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله لك بجلاله وعظمته فما اعجزك به
غنيمة فكيف بما يجرى من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تهتم بما تقرأه من السورة كما سيأتي في كتاب
تلاوة القرآن فلا يخل فيها من وامره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخباره انبيائه وذكر مشيئته
فتكمل واحدة حق قارئها حق الرجاء والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق
الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء عليهم السلام روى ابن ابزى بن زرارة بن اوفى في اثنى
الى قوله تعالى فاذا نقر في الناقور يعني النفخة وكان ابرهيم النخعي اذا سمع في اذان السماء انشقت اضطرب
حتى يضطرب ابرصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يجزع عليه وهو
وعيد فانه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات افهم
ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تحصر والصلوة مفتاح القلب فبها
ينكشف اسرار المكاشفات فهذا حق القراءة وسر حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم ابرع الهيئة في القراءة

فرحل والاسود فان ذلك ليس [illegible] فرق بين نعائه في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد
والتعظيم كان المحق اذ امر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله يحتمل معرفته
كالمسجى عن ان يذكره بكل حق وروي انه يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في
الدنيا وانما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله على حد لا يحدث من الحضور وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يحب حراسة الراعي العين عن الالتفات الى الجهات فكذلك
يحب حراسة القلب عن الالتفات في غير الصلوة فان الملتفت الى غير الله مذكر باطلاع الله عليه وفتح الله
بالمناجي عن عقد المناجي فيعرض اليه ويلزم الخشوع القلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا
ثمرة الخشوع وبهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى مصليا يعبث بلحيته
اما هذا لو خشع قلب لخشيت جوارحه فان الرحمة حكم الراعي وهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح
الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق في صلوته كانه وتد وكذلك ابن الزبير كانه عود
ويحكى عن بعضهم كان يسكن في ركوعه حتى تسع العصافير على ظهره كانه جماد وكل ذلك ينتضيه الطبع من يدي
من عظم من اجلاء الدنيا فكيف لا يقتضيه من يدي ملك الملوك عند ما عرف ملك الملوك ومن يطيق
بين يدي غيره لحظة واحدة ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن
اطلاعه على سره وضميره قال عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال في
ركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود فينبغي ان يحدث عند ذكر كبرياء الله ويرغم مذلك تجبرا
بعفو الله من عقابه ومتابعا سنة نبيه ثم ليستانف له ذلا وتواضعا بركوعك ويجتهد في ترقي
قلبك وبعد بخشوعك وليخشع ذلك وقر مولاك وايضاعك وعلوبك وتسجين على تقربك
في قلبك بلسانك فيسبح ربك ويشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم ويكرر ذلك على قلبك ليؤكد
بالتكرار ثم يرغم من ركوعك راسا انه رحم ذلك وتوكد الرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجابه
الله لمن شكره ثم سرعة ذلك بالشكر المستدعي للمزيد فيقول ربنا لك الحمد ويكرر الحمد متوالك ملء السموات
والارض ثم يهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فليكن اقرب اعضائك وهو الوجه من ادنى الاشياء
وهو التراب وان لم يمكنك ان لا تصل بنهاحا ملا فيجهد على الارض فانه اصلت للخشوع وادل
على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها وردت الفرع الى اصله فانك
من التراب خلقت واليه رددت فضع هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى بلسانك واكده
بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الآثار فاذا رق قلبك وظهر ذلك عليه صدق رجاءك في وجه ربك

فان رحمته تسابق الى الضعف والذل لايليق التكبر والتطاول فارفع راسك مكبرا وسايلا حاجتك وقايلا
ربنا اغفر لنا رحمنا وتجاوز عما تعلم فانك انت الاعز الاكرم واسالت من الدعاء من الدعاء ثم اكد
التواضع بالتكرار فقعد في التحيد ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متاديا وتوضح
بان جميع ما ندبت به من الصلوات والتحيات ايها الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك لله وجميع الخيرات
واحضر بقلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
ويصدق الملك بانه يبلغه ويرد عليك سلاما وافيا مزيدا في منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين
وتامل ان رد الله بجهاته وتعالى عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية لمحمد
صلى الله عليه وسلم بالرسالة تجدد لعهدك له باعادة كلمتي الشهادة ومسائنا التخصيص به ثم ادع في
آخر صلوتك بالدعاء الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة وكرر
في دعائك لابيك وسايرالمومنين واقصد عند التسليم السلام على الملايكة الحاضرين وانو بختم الصلوة
به واستشعر شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع صلوتك هذه وانك لن تعالا
يعيش لمثلها فاصل الله عليه وسلم صلوة مودع ثم استشعر قلبك الرجل وليحملك التقصير في
الصلوة وخف ان لاتقبل صلوتك وان يكون ممقوتا بذنوب ظاهرة باطن فترد صلوتك في وجهك
ويرجوا مع ذلك ان تقبلها بفضله وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله متغيرا فقيل له
كابة الصلوة وكان ابرهيم يمكث بعد الصلوة ساعة كانه مريض فهذا في تحصيل صلوة الخاشعين
الذين هم على صلوتهم يحافظون والذين هم على صلوتهم دايمون والذين هم يناجون الله عز وجل
على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلوة بما قدرنا وايها تيسر له
منها ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداراة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلوة
الغافلين فانها تحظى الان يتحدنا الله برحمته الواسعة وكرمه فاين نفسا الصلوة
ان نصرنا برحمتك يتعدنا بمغفرتك اذلا سبيل لنا الا الاعتراف بالتقصير عن القيام بطاعته واعلم ان
تخليص الصلوة من الآفات واخلاصها لوجه الله عز وجل واداءها على الوجه الباطن الذي ذكرناه من
الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فان
الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلوة لانها في الجملة
اذ تقرب العبد بالجوارح فكذلك حال الله تعالى في القرب والبعد ويكون مكاشفة كل صلوة على مقدار
عن كدورات الدنيا وتخلف ذلك بالتنوع والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف

لبعض الشئ بعينه ويكشف لبعضهم الشئ بمثال كما لو كشف لبعضهم الدنيا في صورة
جيفة والشيطان في صورة كلب حاثم عليها يدعوا اليها ويخيف اينما يأتيه المكاشفة فبعضهم يكشف له
من صفات الله وجلاله وبعضهم من افعاله وبعضهم من دقايق علوم المعاملة فتكون لبعض تلك المعاني في
كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شئ معين كان ذلك
اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا ترى الا في المرآة الصقيلة وكانت المرايا كلها صدئة فاحتجت
عنها الهداية لاهل الجهة المنعم بالهداية بل يجب مراعاة علي مسبب الهداية وانسدت الالسن الى انكار
مثل ذلك لاستيلاء الطبع عليها على انكار غير الحاضر ولو كان للحس عنه مثلا لانكر امكان وجود انسان في بطن
الحوت ولو كان للعقل عنه مجال لانكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان
في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق الله اطوارا فلا ينبغي
ان ينكر احدها وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة وما يطلبون من كيفية التقلب
فيما سوى الله فقد وانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به
الى ان يشاهد بالتجربة وفي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه
بوجهه وقامت الملايكة من لدن منكبه الى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه وان العبد
لتصب عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه وينادي مناد لو علم المناجي من يناجي لما التفت
وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله عز وجل يباهي بهم ملايكته يصدق المصلي فتفتح ابواب السماء ويرجوا
جهة الله اياه بوجهه كما ذكر عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب يا بن آدم لا تعجز ان تقوم بين
يدي مصليا باكيا فانا الله تعالى الذي اقربت من قلبك وبالغيب رايت ربي فان كل خير ان تلك
الرقة والبكاء والنضوح الذي يجده المصلي في قلبه من ذكر الرب تعالى من قلبه واذا لم يكن هذا الذي هو
اقرب بالمكاشفة فلا اعني به الا الذي بالهداية والرحمة وكشف الحجاب وقال ان العبد اذا صلى ركعتين
فتحت منه عشرة صفوف من الملايكة كل صف منها عشرة الاف وما على الله بهذه الامة ملك وذلك ان العبد
يجمع في الصلوة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقيام
لركعوت الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما
رزق الله تعالى الملايكة من الفرح والرتبة لانهم مستمرون على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا
وما منا الا له مقام معلوم وتفاوت الانسان الملايكة في الترقي من درجة الى درجات غاية لا يزال يتقرب
الى الله مستفيدا ومزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي رفع عليها وعبادته